
المكتب 17
إدارة المهام الخاصة
روايات مصرية للجيب
2
Looloo
www.dvd4arab.com
عملية
العالِم الرابع
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

# كلمة لابد منها

فور صدور رواية (عملية الشريحة الإلكترونية) انهالت الرسائل والمكالمات التليفونية على المؤسسة تحمل عدة استفسارات آثرنا أن نجيب عنها بدون تأخير نظرًا لما تمثله من أهمية ..

أولاً : رواية (عملية الشريحة الإلكترونية) هى العدد رقم (١) فى السلسلة الجديدة «المكتب (١٧)» من سلاسل (روايات مصرية للجيب) ..

ثانيًا : لاتشكل السلسلة الوليدة أى امتداد لسلاسل أخرى قديمة ، إنما هى سلسلة مستقلة بذاتها وأحداثها وأبطالها ، تجوب بالقارئ آفاق خيال عصرى حديث لم يتطرق إليه الأدب العربى بعد ..



ثالثًا : هذه الرواية (عملية العالِم الرابع) هى العدد رقم (٢) فى السلسلة ، والعدد السابق حمل ترقيمًا خاطئًا لظروف تتعلق بالجمع الإلكترونى والمونتاج والطباعة ..

نتمنى أن تحوز السلسلة الجديدة إعجابكم ..

وأن تستمر بكم .. ولكم .. المؤلف

# مقدمة

قليلون هم الذين يعيشون تلك الحياة المفعمة بالحركة والإثارة ، المحفوفة بالمخاطر والأشواك ، من شرك إلى مصيدة ، ومن موت إلى موت ..

قليلون هم الذين يهوون الحياة فى قلب الجحيم ، حيث الهلاك هو اسم اللعبة ، وحيث الدهاء هو الطريقة الوحيدة لكى تلعبها ، فإما النصر ، وإما القتال حتى النفس الأخير ..

قليلون هم الذين حملوا قلوبهم الفتية على أكفهم ، وألقوا بأنفسهم فى دوائر النهاية دون لحظة تردد واحدة ..

قليلون هم ، ربما تبلغ ندرتهم حد أن يمضى بنا قطار العمر دون أن نشهد أحدهم ولو بالصدفة ، لكنهم دومًا موجودون من حولنا ، يبنون مجد



أوطاننا بدمائهم وأرواحهم ، ويحرسون أيامنا وأحلامنا من أنياب وحوش الغاب الضارية ، ومن هؤلاء الذين لا هَمَّ لهم إلا أن يطلوا جدران غدنا بالسواد القاتم ..

و( عمر زهران ) هو أحد هؤلاء القليلين ..

إنه بطل آخر ممن تزخر بإنجازاتهم ملفات الوطن ، وهو من سيرافقنا عبر روايات هذه السلسلة الجديدة بإذن اللّه ..

من هو ؟ كم عمره ؟ أين ومتى وكيف ولماذا .. إلخ ؟ كلها أسئلة ستجيب عن نفسها بنفسها خلال الصفحات القادمة ، كل ما يهمنا معرفته هنا أنه إنسان ، مثلى ومثلك ومثلنا جميعًا ، له من العيوب قدر ما له من المزايا ، لكنه فى النهاية يحمل قلبًا عاشقًا للوطن ، والأرض ، والناس .. يهمنا كذلك أن نشير هنا

إلى تلك الهيئة الأمنية الحديثة التى نشأت على أرض (مصر) بقدر رئاسى، وهى هيئة ذات سلطات غير محدودة، مهمتها التعامل مع القضايا ذات الطابع الخاص، المحاطة بأعلى قدر من السرية، والتى تتطلب كفاءات رفيعة المستوى للتعامل معها..

هيئة تعرف باسم (المكتب ١٧)..

محمد سليمان



## ١ـ انفجار..

فى (سيبيريا) يكسو الجليد كل شىء..

المدى الممتد عبر الأفق ليلتقى مع سماء رمادية لاتعرف الشمس إلا فى مناسبات متفرقة عبر السنة كلها، الجذوع والأغصان الجافة لأشجار بلا أوراق أو ثمار، الطرق الضائعة معالمها، المبانى الصغيرة القليلة التى كانت يومًا ما ثكنات عسكرية للحراسة ونقاط إمداد مياه وكهرباء وغذاء للمبنى الضخم الرهيب، القابع تحت الثلوج كالوحش الأسطورى، والقائم فى مركزها..

السكون يغشى كل شىء حتى فى منتصف الظهيرة!

لا الرياح تهب ، لا وريقة شاردة فوق شجرة منسية تهتز ، لا حيوان هائمًا على وجهه يمزق صوته هدوء المشهد الصامت منذ الأزل .

حتى ... بدأ صوت فى التصاعد تدريجيًا ..

صوت أشبه بهدير محرك ، بل هو صوت محرك يهدر بالفعل ..

ومن بعيد ، أخذت كاسحة جليدية متوسطة الحجم تقترب ، مزيحة الجليد المتراكم فى طريقها على الجانبين ، وقد اختفت ملامح سائقها خلف وشاح ثقيل من الصوف غطى ملامح وجهه إلا عينيه الزرقاوين .

بدا جليًا أنه يعرف طريقه جيدًا فى هذه المنطقة القفر كأنها صحراء جليدية !

وعندما توقفت الكاسحة أمام المبنى الضخم الرهيب ، ترجل الرجل عن مقعده ليغوص حذاؤه الأسود الضخم فى الثلوج التى ابتلعت قدميه حتى منتصف ساقيه ، وتناول مجرفة يدوية



ذات ذراع خشبى طويل ، كانت ملقاة خلف مقعده ، ثم استدار نحو المبنى - الذى غطت الثلوج نصف ارتفاع جدرانه تقريبًا من الجهات الأربع - شاقًا طريقه نحوه بخطوات واسعة وصعبة ..

وأمام نقطة بعينها - عند الجدار الأمامى - توقف ، وبكل قوته غرس مجرفته فى الجليد وشرع يزيحه يمنة ويسرة ، وعندما اصطدمت مقدمة مجرفته فى النهاية بجسم أصدر صوت الارتطام المعدنى المعروف ، لمعت عيناه الزرقاوان وتكاثفت أنفاسه المتلاحقة كسحب بيضاء عند أرنبة أنفه ، قبل أن ينهال بالمجرفة ليزيح كتلاً أخرى من الثلج فتظهر خلفها - شيئًا فشيئًا - بوابة صغيرة ..

لم يلتفت لشعار ( الجمجمة والعظمتين المتقاطعتين ) ، أو لعبارات التحذير بالروسية أسفله ، وإنما وقف يرمق الأقفال المعدنية الضخمة التى علاها الصدأ حتى تآكلت تمامًا ، ثم تمتم ساخرًا بالروسية أيضًا :

ـ يا للبدائية !

وأخذ يقتلعها جميعًا من أماكنها مستخدمًا ذراع مجرفته ، وأطاعته الأقفال كلها مع بعض العزيمة والصبر ، فانفتحت البوابة أمامه فى النهاية ، ومفاصلها تصدر صريرًا مزعجًا كفيلًا بإيقاظ سكان (روسيا) أجمعين !

ظهرت خلف البوابة المفتوحة درجات هابطة لأسفل حيث الظلمة المدلهمة ، تأملها الرجل للحظات ثم اجتاز البوابة دون تردد ، غير أنه ثبّت المجرفة فى زاوية حادة بين البوابة وحافتها ليتأكد من أنها ستظل مفتوحة حتى يعود ..

وعلى ضوء شحيح ـ مصدره كشاف أنار له طريق الهبوط فوق الدرجات ـ ظهرت أطلال المكان بالداخل كأوضح ما يمكن أن تكون عليه الأطلال ..



معدات آلية وماكينات مبعثرة ، أوراق متناثرة يكللها شعار ( المنجل والمطرقة ) المندثر باندثار الشيوعية الروسية البائدة ، صورة لـ (لينين )[*] بصلعته العريضة ولحيته القصيرة فوق جدار قريب ، فوضى وإهمال وأتربة وعناكب ، كل هذا وشى بأن المكان ما هو إلا أطلال مشروع ما ..

متجاوزًا ركام الأشياء التى بللتها قطرات الماء الساقطة منه بفعل ذوبان الجليد ، وقف الرجل أمام خزانة موصدة ، أسرع يعالج قفلها حتى انفتح مصراعاها ليتبدى خلفهما صف من الحلل اللامعة المعلقة يعلوه صف مماثل من

---

(*) (لينين ) (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤) : اسمه الأصلى (فلاديمير أليتش أوليانوف ) وهو القائد الفكرى والفعلى للثورة البلشفية التى انتهت بإقامة النظام الشيوعى (١٩١٧) ، ألّف ما يقارب الـ ٥٥ كتابًا من أهمها ( الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية ) و ( الدولة والثورة ) ..

الخوذات ذات حاجز زجاجى أمامى ، لم تمض دقيقة حتى كان الرجل قد أدخل جسده فى إحدى هذه الحلل وغطى رأسه بإحدى الخوذات .. اتجه بعدها نحو ركن قصىّ ، فهبط على ركبتيه وأخذ يبحث عن شىء ما فوق الأرض مستعيناً بضوء كشافه ، وإذ لمعت عيناه تناول مفتاحًا إنجليزيًّا كان قابعًا فوق منضدة قريبة ، وأخذ يفك به البراغى الأربعة المثبتة فوق دائرة معدنية ـ تحمل رقمًا كوديًّا فوقها ـ تغطى جزءًا من الأرض ، ثم إنه رفع الدائرة فى حرص ـ بعد فراغه من فك البراغى ـ ليظهر أسفلها تجويف أشبه بقبو متناه فى الصغر ..

والتمعت عيناه أكثر وأكثر عندما مد يده إلى داخل الفراغ ليخرجها قابضة على يد حقيبة من المعدن فضية اللون..

ـ يبدو أن الأمر حقيقى إذن !



هتف بها لنفسه مغالبًا المشاعر التى اكتنفته لحظتها ، وكاد يصيح من السعادة عندما أطاعته الحقيبة فانفتحت مصدرة تكة خافتة ، واتسعت عيناه لتلمع زرقتهما أكثر وأكثر ، وهما تحدقان فى أنابيب الاختبار المتراصة داخلها فى حامل أفقى ، ثم رفع إحدى الأنابيب مقربًا إياها من عينيه ، لينعكس ظل السائل الأحمر القاتم الذى تحويه على زجاج خوذته الأمامية اللامع ..

لم ينظر لحظتها إلى باطن الحقيبة المواجه له ، والذى حمل رسمًا واضحًا ـ فوق قطيفة البطانة الداخلية ـ لمروحة ذات ريشات ثلاث ، وبأسفله كلمة واحدة ..

(بلوتونيوم ٢٨٩ ) ..

* * *

أشعل سيجاره ( الهافانا ) الفاخر ونفث دخانه على شكل حلقات دائرية قرب مصباح الغرفة

المنخفض والوحيد ، ثبّته بين شفتيه واستأنف تنظيف مدفعه الآلى وحشوه بالرصاصات الكبيرة ، عكست مرآة الغرفة هيئته الممعنة فى الغرابة ، شَعْر رأسه الزاحف إلى الخلف ، المنظار الشمسى ذا العدسات المعتمة ، الشعيرات المتناثرة فى وجهه المستطيل ، والعضلات البارزة فى صدره العارى وذراعيه ..

صدرت نغمة عالية من حاسبه الآلى النقال فجذبه إليه متطلعًا فى شاشته التى ارتسم عليها صندوق للبريد مكتوب عليه ( التماس محادثة ) ..

عقد حاجبيه ، وتراجع بظهره رافعًا قدميه فوق المنضدة أمامه ، ووضع الحاسب الآلى النقال فى حجره وهو يضغط أيقونة (قبول) فى الشاشة بوساطة الفأرة ..

وعلى الفور ، انقسمت الشاشة إلى نصفين طوليين حمل كل منهما خلفية ذات لون خاص ،



وتبعًا لطريقة ( التحدث بالكتابة Talk by typing ) حمل النصف الأيسر عبارة مقتضبة :

ـ هناك مهمة جديدة ..

سارع يكتب ناقرًا فوق الأزرار :

ـ من أى نوع ؟!

جاءه الرد سريعًا :

ـ متعددة الأقسام ...

ـ حدثنى عن البداية ..

ـ تصفية جسدية ..

ـ والتفاصيل ؟!

ـ ستصلك خلال ثوان عبر قناة معلومات جارٍ تأمينها ..

ـ ماذا عن النقود ؟!

ـ تمت إضافة خمسة ملايين مارك إلى حسابك البنكى فى (بون ) ، وسيتم إضافة الضعفيْن بعد انتهاء المهمة ..

- أين ؟!

- لقد وصلتك الآن كل المعلومات اللازمة على مقر بريدك الإلكترونى المشفَّر ، ننتظر تأكيدك بالقبول بعد ساعة واحدة ..

اختفى بعدها النصف الآخر من الشاشة ، لكنه لم ينتبه لهذا إذ سارع بالولوج عبر متصفح خاص إلى موقع بريده الإلكترونى ذى الشفرة السداسية فى مكان ما من فضاء الشبكة السرمدى ، ووجد بداخله ملفًا لم يتجاوز حجمه (١) ميجا بايت(*) يحمل عنوان (برلين) وبدون عنوان بريد إلكترونى فى خانة المرسل ..

---

(*) بايت Byte : وحدة التخزين الخاصة بذاكرة الحاسب الآلى ، وتمثل كمية الذاكرة المطلوبة لاختزان رمز character واحد كحرف أو رقم أو علامة مثلاً ، والكيلو بايت = ١٠٠٠ بايت والميجا بايت = مليون بايت والجيجا بايت = بليون بايت ..



وفور أن فتحه ، طالعته صورة شخصية ثلاثية الأبعاد تدور حول مركزها لرجل فى العقد السادس ، أصلع الرأس ، أشيب الفودين ، واسع العينين ، وقد تراصت أسفلها البيانات التالية :

الاســم : د. مهدى عبد القادر .
الوظيفة : أستاذ الفيزياء النووية .
المطلـوب : تصفية .
المكـــان : برلين .

وضاقت عيناه أكثر - كأنه ثعلب يخطط للفتك بفريسته - وهو يلتهم بهما بقية التفاصيل ، وأسرع يبرق فور انتهائه من قراءتها بقبوله للمهمة فى رسالة إلكترونية من كلمة واحدة ، ولم ينس بعدها أن ينسخ الملف على قرص مرن ذى سعة تخزينية عالية ، وأن يمحو كل أثر للملف من فوق ذاكرة القرص الصلب لجهاز حاسبه الآلى النقال ..

ثم إنه أشعل سيجارًا آخر ، وقد بدأ عقله فى العمل على الفور ..

* * *

ـ هذه المدينة لاتشيخ أبدًا ، سيد ( إيهاب ) ..

نطق د. ( مهدى عبد القادر ) بهذه العبارة وهو يجول بناظريه عبر زجاج السيارة الألمانية الأمامى ، مخاطبًا الرجل القوى البنية ذا الشارب الكث والعينين الحادتين ، الذى يقود السيارة بجواره ، ثم تنهد قبل أن يضيف :

ـ مازال فيها عطر من تاريخ مضرج بالدماء والحروب والانقسامات السياسية ، وروح شابة لاتعرف الذبول أو الأفول أو الضياع فى متاهات السنين القاسية ..

ـ لم أكن أعرف أنك تتمتع بهذه الروح الشاعرة يا دكتور !



قالها ( إيهاب ) باسمًا ، فابتسم د. ( مهدى ) بدوره ثم قال فى حنين :

ـ إنها ( برلين ) ، سيد ( إيهاب ) ، ( برلين ) التى قضيت فيها أكثر من أربعة أعوام أعددت فيها رسالة الدكتوراه ، والتى لم تمنعنى ساعات الدراسة المجهدة من أن أصنع لى فى كل ركن منها ذكرى حميمة ..

ـ يالها من محظوظة بعاشق مثلك يادكتور ..

هز د. ( مهدى ) سبابته فى الهواء وهو يعقب :

ـ عشقى الأول والأخير أحتفظ به لوطنى دائمًا ، سيد ( إيهاب ) ..

سأله ( إيهاب ) فى اهتمام :

ـ ألهذا مازلت مصرًا على العمل فى ( مصر ) برغم المكانة العلمية المتميزة التى تشغلها عالميًا ؟

هز د. (مهدى) رأسه بالإيجاب هو يقول :

ـ لك أن تتخيل أن عشرات العروض مازالت تنهال علىَّ يوميًا للعمل فى هيئات وجامعات دولية توفر إمكانات مهولة ـ بل وغير محدودة ـ فى مجال تخصصى ، وتمنح رواتب وامتيازات يسيل لها لعاب الكثيرين ، حتى إننى تلقيت فى (برلين) وحدها ـ التى تقول إننى أعشقها ـ مايربو على العشرين عرضًا ، لكننى سأظل متمسكًا بمبدئى الأثير ، أدرس كما شئت أينما شئت واضعًا نصب عينيك أمرًا واحدًا ، هو أن تعود فى النهاية لينتفع وطنك ومواطنوك بعلمك هذا ، مهما كانت الإمكانات ضعيفة ، ومهما قست المعوقات والعراقيل والظروف المحيطة ..

ثم إنه هز كتفيه مردفًا :

ـ من ليس فيه خير لأهله ، ليس فيه خير لأحد يا عزيزى !



التفت (إيهاب) نحو الدكتور الذى غرق فى تأملاته ، وارتسمت على شفتيه بسمة زهو بكونه ابنًا لنفس الأرض الطيبة التى أنجبت مثل هذا الرجل المدهش ، والفريد من نوعه ..

حقًا ، ستبقى (مصر) أبد الآبدين مادام فيها رجال كهذا ..

ـ توقف ، ها هو ذا المبنى المنشود ..

ضغط (إيهاب) كابح السيارة فور سماعه لعبارة الدكتور الذى أضاف مازحًا :

ـ هذا بافتراض أنك تحفظ العنوان جيدًا !

هبطا من السيارة بعدها ، وهبت نسمة باردة فثبت د. (مهدى) قبعته السوداء الفرنسية الطراز فوق رأسه الأصلع لتقيه البرودة ، وعدل من وضع الكوفية الزرقاء فوق رقبته ، ثم اتجه خلف (إيهاب) نحو مدخل البناية محاولاً أن يجارى خطواته الواسعة الشبيهة بالهرولة .

ولم تمض دقيقة حتى كانا يقفان أمام باب إحدى الشقق ، وقد شرع (إيهاب) فى طرقه بقبضته ، حتى أتى من الداخل صوت سائل بالألمانية :

ـ من ؟!

رد (إيهاب) بنفس اللغة :

ـ ضيفان يريدان السيد (جونتر) ..

انفتح الباب ليظهر عند العتبة رجل ضئيل ، مجعد الشعر ، قبيح الملامح ، كشفت بسمته عن أسنانه الصفراء القذرة وهو ينحنى أمامهما قائلاً :

ـ على الرحب والسعة أيها السيدان ، أنا (جونتر) ، تفضلا بالدخول ..

ـ أين العينة يا سيد (جونتر) ؟!

سأل (إيهاب) وقد انغلق باب الشقة خلفهم



إذ أصبح ثلاثتهم داخلها ، فاتسعت ابتسامة (جونتر) المقيتة وهو يفرك كفيه قائلاً :

ـ حنانيك يا سيدى ، ألا يجب أن نتعارف أولاً ؟!

هتف (إيهاب) فى حدة عصبية :

ـ سنشترى البضاعة بالسعر الذى عرضناه إذا كانت صالحة ، هذا كل ما يجب أن تعرفه عنا يا صاح !

قال (جونتر) فى هدوئه الباسم المستفز :

ـ اهدأ يا سيدى ، إنها أصول العمل كما قد لاتجهلها ..

ثم إنه التفت إلى د. (مهدى) متابعًا :

ـ أليس كذلك يا د. (مهدى) ؟!!

قال د. (مهدى) ، فى برود :

ـ لست أظننى على هذا القدر من الشهرة يا سيدى !

- إعلاميًا ربما ، ولكن فى مجال عملنا فأنت أشهر من ( آينشتين ) فى عصره يا (دكتور ) !

قالها (جونتر ) دون أن تتبدل لهجته ، فقال د. (مهدى ) دون أن يتبدل بروده :

- شهادة أعتز بها حقًا !

هتف (إيهاب ) قاطعًا حوارهما ذا الإيقاع البطىء :

- وبعد ؟ ألن ننتهى من هذا الهراء ؟!

التفت (جونتر) إليه وهو يقول مضيقًا عينيه :

- على الفور يا سيد (إيهاب ) !

رفع (إيهاب ) حاجبيه دهشًا وهو يسأل فى غير تصديق :

- ما هذا ؟! كيف عرفت اسمى ؟! إذ ...

قاطعه (جونتر ) مشيرًا لحاسب آلى مفتوح ، على منضدة دائرية تتوسط الصالة :



- أنا أعرف ما هو أكثر من اسمك يا سيدى ، انظر هناك ..

ارتسمت أقصى علامات الانزعاج على وجه (إيهاب ) وهو يحدق فى صورته الثلاثية الأبعاد فوق شاشة الحاسب الآلى ، والتى تراصت أسفلها بياناته الشخصية كاملة ، فنظر إلى (جونتر ) وهو يهتف فى حنق :

- من أين أتيت بكل هذا ؟!

هز (جونتر ) كتفيه مجيبًا فى بساطة :

- إن شبكة المنطقة المحلية (LAN)[*] الخاصة بوزارة السكان لديكم فى (مصر ) تنقصها الكثير من وسائل المناعة والحماية ضد القرصنة !

وعاد يفرك كفيه متابعًا :

---

(*) (LAN) اختصار لـ (Local Area Network) ..

ـ لقد أخبرتك يا سيدى أنها أصول العمل المحفوف بالمخاطر الذى أمتهنه !

لم يش وجه ( إيهاب ) المكفهر بالابتسامة الظافرة التى ارتسمت فى أعماقه لحظتها ممزوجة بالسخرية من سذاجة هذا الرجل الضئيل الذى ابتلع الطعم بكل سهولة وكل يسر !

إن كل ما يعرفه عنه الآن ـ هذا الواثق من نفسه ـ أنه ملياردير مصرى مشبوه ، تظن أجهزة الأمن أنه من أباطرة تجارة السلاح فى العالم ، ولكن دون دليل واحد يمكنها من القبض عليه ، وهكذا لاتكون هناك غرابة فى أن يتجه شخص كهذا لشراء بضاعة كهذه عبر وسيط كهذا ، ولا يكون هناك أدنى ظن فى كون ( إيهاب ) ضابطًا يحمل رتبة مقدم فى إدارة المكتب (١٧) بـ ( القاهرة ) !



لقد نجح خبراء التقنيات البارعون فى إضافة سجل وهمى لسيرة ذاتية زائفة ومحبوكة للملياردير الخيالى ، ونجحوا كذلك فى اجتذاب ( جونتر ) أو قراصنته إلى خدعة تشبه ألعاب الفيديو لاختراق نظام السجل السكانى فى وزارة السكان ، وهكذا انطلت الحيلة على هؤلاء الذين يظنون أنفسهم أبرع أهل الكون ..

ـ دعنا نبدأ العمل إذن ، سيد (جونتر) ..

قالها د. ( مهدى ) ثم أردف :

ـ لابد أن أفحص العينة بنفسى ..

أشار (جونتر) إلى باب غرفة مغلق قائلاً وقد بلغت ثقته بنفسه ذروتها :

ـ إنها فى حقيبة آمنة داخل هذه الغرفة يا دكتور ..

ثم إنه أشار إلى عدة أزياء لامعة معلقة فوق مشجب قريب وهو يكمل :

ـ سيرتدى كل منا واحدًا من هذه الأزياء المضادة لتأثير الإشعاع الضار ، وندخل بعدها فى أمان ..

* * *

ـ إنه (بلوتونيوم ٢٨٩ ) على درجة عالية من النقاء !

قالها د. (مهدى ) وهو يخلع خوذته ذات الحاجز الزجاجى الأمامى ويضعها فوق طاولة الصالة المستديرة ، فعادت البسمة الصفراء المقيتة تعتلى شفتى (جونتر ) ، وعاد الأخير يفرك كفيه قائلاً فى لهفة :

ـ أى الصفقة سوف تتم أيها السيدان ..

قال د. (مهدى ) وهو يلملم معداته التى فحص بها عينة ( البلوتونيوم ) داخل الغرفة منذ قليل فى حقيبته اليدوية الصغيرة :



ـ لكنى سأفحص كل الكمية قبل أن نتسلمها ..

التقط منه ( إيهاب ) خيط الحديث قائلاً فى لهجة رجل أعمال يؤمن بأن الوقت مال :

ـ وسنحول المبلغ المتفق عليه إلى الحساب المطلوب فى بنك الائتمان السويسرى عبر ( الإنترنت ) فور استلامنا للبضاعة كاملة ..

قال (جونتر ) وهو يجلس على أحد المقاعد حول المنضدة :

ـ لقد انتهى دورى هنا على أية حال ، ولم يبق إلا أن أبلغكما بموعد ومكان التسليم حيث ستتعاملان مع البائع مباشرة دون وسطاء ..

ثم غمز ( إيهاب ) مضيفًا :

ـ برغم أن السمسار يكسب فى جميع الأحوال يا عزيزى !

فهم ( إيهاب ) تلميحه ، هذا الرجل يعتقد أن

( إيهاب ) ـ بصفته تاجرًا للسلاح ـ سيعيد بيعها بسعر أعلى لجهة أخرى ، وهو يعرض عليه أن يكون وسيطه ..

دعه يظن ما شاء ، هكذا فكر ( إيهاب ) وهو يسأل فى حسم :

ـ متى ؟!

ـ بعد أسبوع من الآن ، يوم ( الأحد ) القادم ..

سأله د. ( مهدى ) هذه المرة :

ـ هنا فى ( برلين ) ؟!

تأتأ ( جونتر ) وهو يهز رأسه نفيًا ، وبرقت عيناه الضيقتان وهو يجيب :

ـ كلا ، هذا هو الجزء الأكثر إثارة من الموضوع ..

وفرقع بإصبعيه متابعًا :



ـ إنه مكان لن يخطر ببال الشيطان نفسه ، لو كان للشيطان بال !

★ ★ ★

ـ لقد وصلت المعلومات إلى ( القاهرة ) الآن ، إنه عصر السرعة بالفعل !

ضغط د. ( مهدى ) أيقونة ( إرسال ) فى واجهة برنامج البريد الإلكترونى الذى يستخدمه وهو يقولها ، وأضاف مغلقًا الحاسب الآلى النقال الخاص به :

ـ سيفزعهم مكان التسليم كما أفزعنى بالتأكيد ..

ـ قال ( إيهاب ) وهو يتناول منه الحاسب الآلى النقال :

ـ كل الصعاب تهون من أجل رفعة وسمو الوطن يا دكتور ..

أمسك د. (مهدى) بمقود السيارة فى قوة، وابتسم قائلاً فى حماسة :

ـ لن تندم أبدًا على جعلى أتولى القيادة، سأريك أجمل ما فى (برلين) يا عزيزى ..

بادله (إيهاب) الابتسام دون أن يقول شيئًا، بينما مد الدكتور يده إلى المفتاح مديرًا محرك السيارة، لكنه لدهشتهما الشديدة لم يَدُر !

عقد د. (مهدى) حاجبيه فى استنكار وهو يهتف :

ـ يا للغرابة !

وحاول (إيهاب) أن يقاوم جحافل الريبة التى بدأت فى التسلل إلى صدره، بينما أدار د. (مهدى) المفتاح خلف المقود مرة ثانية بلا جدوى أيضًا ..

ـ ماذا دها الصناعة الألمانية هى الأخرى ؟



هتف بها الدكتور وهو يعقد حاجبيه أكثر وأكثر فى سخط متزايد، وهم بإدارة المفتاح مرة ثالثة عندما وجد (إيهاب) عقله يفهم الأمر برمته فجأة، فصاح :

ـ كلا يا دكتور، توقف، إنها ...

لكن صياحه جاء متأخرًا، فقد أدار د. (مهدى) المفتاح بالفعل، فما كان منه إلا أن مد يده نحو مزلاج بابه مواصلاً هتافه المذعور:

ـ اهرب يا دكـ ...

قاطعته نغمة ثلاثية سريعة صدرت من أسفل المقود، ثم ...

انفجرت السيارة بهما فى منتهى العنف ..

ومن إحدى النوافذ الزجاجية المطلة على الشارع، وقف رجل يرمق الانفجار الذى امتزج


ومن إحدى النوافذ الزجاجية المطلة على الشارع ، وقف رجل يرمق الانفجار الذى امتزج بذعر المارة وصراخ النسوة والأطفال ..

بذعر المارة وصراخ النسوة والأطفال ، وهو ينفث دخان سيجاره ( الهافانا ) .. رجل بهيئة ممعنة فى الغرابة ، انعكس تراقص اللهب فوق العدسات المعتمة لمنظاره الشمسى ، وهو يضغط زر إرسال رسالة قصيرة فى هاتفه المحمول ..

انتهى القسم الأول من المهمة ،
فى انتظار بقية التفاصيل ..

طالعته فوق شاشة الجهاز الصغيرة عبارة أفادت أن الرسالة قد أرسلت بنجاح ، فأعاد الجهاز إلى جيب معطفه الأسود ، وقبضت يده اليمنى على جهاز حاسب آلى نقال ، واليسرى على حقيبة تحوى عينة من ( البلوتونيوم ٢٨٩ ) النقى ..

وقبل أن يغادر المكان ، ألقى بنظرة أخيرة

على الجثة الهامدة فوق أرضية الصالة ، جثة رجل ضئيل كان يدعى سيد (جونتر) يزين جبهته الآن ثقب دموى بغيض ..

ومع اقتراب أصوات أبواق سيارات الشرطة والإطفاء من بعيد ، كان الرجل يغادر الشقة كلها بمنتهى الثقة ، ومنتهى الهدوء ..

★ ★ ★



## ٢ـ لقاء ..

أشار اللواء (عفت حفنى) ـ الجالس خلف مكتبه البيضاوى الضخم بملامحه الصارمة الحادة ـ إلى أحد المقاعد الخالية أمامه قائلاً :

ـ تفضل بالجلوس يا د. (رشدى) ، لقد كان سفرًا مرهقًا من الصحراء الغربية على ما يبدو ..

تبدى الإرهاق جليًا بالفعل على قسمات الرجل الوقور الواقف أمامه ، والذى أشارت ملامحه إلى أواخر الأربعينات بالخصلات الرمادية الكثيرة فى شعر رأسه ولحيته وحاجبيه اللذيَن قطبهما سائلاً فى استياء :

ـ هل أنا رهن الاعتقال أم ماذا ؟!

ـ ما الذى جعلك تقول هذا يا دكتور ؟

سأله اللواء ( عفت ) ، فأجاب محنقًا :

ـ الطريقة التى جئت بها إلى هنا ، الأشبه بإلقاء القبض على أحد عتاة الإجرام !

صمت اللواء ( عفت ) هنيهة ثم قال فى هدوء جاد :

ـ كلا يادكتور ، ليس هناك مايدعونا لاعتقالك ، كل ما هنالك أننا نحتاج إليك ..

رفع د. ( رشدى ) عقيرته بالهتاف :

ـ ألم يكن من الممكن أن تتصلوا بى هاتفيًا ، أو حتى أن تبرقوا لى بـ ( الفاكس ) أو البريد الإلكترونى ، بدلاً من إرسال ثلاثة رجال لإحضارى فى سيارة شرطة ؟!

تركه اللواء ( عفت ) يفرغ ما فى جعبته من ثورة ، ثم قال فى لهجة لاتنقصها الصرامة :



ـ للضرورة أحكام يا دكتور ..

جلس د. ( رشدى ) بحركة حادة على المقعد الذى أشار إليه اللواء ، قائلاً وهو يحاول السيطرة على انفلات أعصابه :

ـ دعنا نر إذن إن كان الأمر ضروريًا إلى هذا الحد !

تنهد اللواء ( عفت ) فى عمق قبل أن يقول :

ـ إنه بشأن د. ( مهدى عبد القادر ) ..

بهت د. ( رشدى ) لوهلة ، ثم قال فى توجس :

ـ ماذا عنه ؟! لقد سافر إلى ( برلين ) منذ عدة أيام لحضور مؤتمر علمى مهم عن الطاقة النووية وتطبيقاتها السلمية !

قال اللواء ( عفت ) وهو يهز رأسه مؤيدًا :

ـ هذا صحيح جزئيًا يا دكتور ، ولكن ...

سأله د. (رشدى) فى توجس أشد وقد شعر بصدره يستحيل مزرعة للفئران :

- ولكن ماذا ؟!

- لقد لقى د. (مهدى) مصرعه فى حادث انفجار سيارة فى أحد شوارع (برلين) ..

اتسعت عينا د. (رشدى) فى ذهول ألجم لسانه، بينما تابع اللواء (عفت) مشيرًا إلى شاشة حاسب آلى بجواره تعرض صورة لحطام السيارة المتفحمة :

- وقد أذاعت السلطات الألمانية الخبر اليوم فقط عبر وسائل الإعلام المرئية والإلكترونية بعد التأكد من هويته، برغم أن الحادث قد وقع منذ ثلاثة أيام كاملة ..

ترقرقت الدموع فى عينى د. (رشدى) وهو يردد مشدوهًا :



- غير معقول .. غير معقول !

قال اللواء (عفت) محاولاً تهوين الموقف :

- إننا على دراية تامة بمتانة العلاقة التى كانت تربطك به رحمه اللّه كتلميذ وأستاذه، ولهذا بالذات وقع الاختيار عليك يا دكتور لاستكمال المهمة التى كان قد بدأها هو ..

رنت العبارة الأخيرة كألف جرس فى عقل د. (رشدى)، فالتفت يسأل اللواء (عفت) وهو يجاهد لمنع عبراته من الانسكاب سيولاً من عينيه :

- أى مهمة ؟!

- لقد ذهب د. (مهدى) تحت غطاء المؤتمر المزعوم بصحبة واحد من أكفأ رجالنا - رحمهما الله معًا - لمعاينة شحنة جديدة خاصة بالمشروع السرى العملاق (٥ ب ٣٠٠٠)، وبعد أن أبرقا

بصلاحية العينة المفحوصة وبمكان وزمان تسليم الشحنة الكاملة وقع الحادث المروّع ، لم يمهلهما القدر لاستكمال مهمتهما الجليلة ، وهكذا صار لزامًا علينا أن نستكملها نحن ..

ثم إن اللواء ( عفت ) أشار إليه بسبابته مستأنفًا :

ـ أنت يا دكتور أصلح من يستكمل دور العالِم الفقيد ، أولاً لأنك كنت ساعده الأيمن فى تخطيط وتنفيذ وإقامة المشروع السرى (٥ ب ٣٠٠٠) ، وثانيًا لأن التقارير تشير إلى دراستك ردحًا طويلاً من الزمن فى (موسكو ) وإجادتك للروسية بطلاقة مما سيسهل المهمة إلى حد بعيد ..

عادت الدموع تترقرق فى مقلتى د. (رشدى ) وهو يشرد بنظراته للمجهول ، فتنهد اللواء (عفت ) مجددًا ثم قال :



ـ أعلم مقدار ما تكابده من حزن وألم يا دكتور ، لكننا جميعًا نحمل أرواحنا على أكفنا باذلين أعز ما نملك فداء لهذا الوطن ، إن أكبر عرفان بالجميل نستطيع تقديمه لروح الفقيد هو أن نتم ما بدأه على أكمل وجه ، حتى لا يذهب ما وهبه لنا من جهد وعرق ودم أدراج الرياح ..

ثم إنه أضاف فى لهجة مفعمة بالأمل والرجاء :

ـ إنها أجمل باقة زهور نستطيع أن نضعها فوق شاهد قبره ..

ـ أنا رهن إشارتكم يا سيادة اللواء ..

هتف بها د. (رشدى ) محاولاً أن يكسو لهجته بكل ما استطاع من حماسة ، فابتسم اللواء ( عفت ) بسمة باهتة وهو يقول :

ـ هذا ما توسمته فيك منذ البداية يا دكتور ..

ثم إنه تراجع بظهره ليغوص فى مقعده الكبير ، مردفًا وقد اكتسبت لهجته جدية رهيبة :

ـ وما أتوسمه أيضًا فيمن سيشاركك المهمة من رجالنا ، أو لعل هذا ما أرجوه حقًا !

★ ★ ★

توقفت السيارة الفان البيضاء التى تحمل على جانبيها اسم مطار ( أورلى ) بـ ( باريس ) ، على مقربة من الطائرة الصغيرة التى فرغت إحدى الشاحنات من تزويدها بالوقود ، ليهبط منها شاب ممشوق القوام ، حليق الرأس ، يتدثر فى معطف طويل وثقيل من الصوف ..

ألقى الشاب بنظرة على ساعة معصمه التى أشارت للثالثة إلا عشر دقائق بعد الظهر ، ثم اتجه إلى الطائرة فى خطوات سريعة ليصعد سلمها ذا الدرجات القليلة مع انفتاح بابها الذى ابتلعه تمامًا قبل أن ينغلق خلفه فى هدوء ..



ـ أتيت فى الوقت المناسب تمامًا ، نقيب ( عمر ) ..

لم يستطع ( عمر زهران ) أن يمنع نفسه من التسمر الذاهل وهو يحدق فى صاحب الصوت الرصين المرحب به ، ثم إنه هتف مأخوذًا :

ـ سيادة العميد بنفسه !

كان أستاذه وأبوه الروحى العميد ( منصور حرب ) جالسًا فوق أحد المقعدين اللذين يتوسطان المسافة بين باب الطائرة وكابينة القيادة ، بملامح وجهه القاسية التى تجعله يشبه ( الصقر العجوز ) كما يطلقون عليه فى إدارة المكتب (١٧) ..

ـ اجلس ، نقيب ( عمر ) ، فالطائرة سوف تقلع فى الحال ..

رأى ( عمر ) ـ عبر النافذة الوحيدة ذات الإطار

البيضاوى ـ أن الطائرة قد بدأت تتحرك فعلاً على ممر الإقلاع ، فجلس على المقعد المقابل للعميدِ لتفصل بينهما منضدة منخفضة ، وهتف سائلاً بعينين فائرتين بالحماس :

ـ ولماذا لم تتركنى أتولى قيادتها يا سيادة العميد ؟ أنت تعلم ولعى بهذه الطائرات الصغيرة منذ كنت ملازمًا فى القوات الجوية قبل التحاقى بإدارة المكتب (١٧) ..

ـ لأن أمامنا الكثير من العمل ، والقليل من الوقت ..

بلهفة سأله ( عمر ) :

ـ مهمة جديدة ؟!

قال العميد ( منصور ) فى دعابة رزينة وهو يهز رأسه بالإيجاب :

ـ لم أحضر لاختطافك طلبًا للفدية بالطبع !



ثم إنه أردف دون أن تتوقف عيناه عن التحديق فى ( عمر ) :

ـ لعلك تعرف المقدم ( إيهاب مجد الدين ) جيدًا ، نقيب ( عمر ) ..

انتبه ( عمر ) لحظتها للشاشة الصغيرة الملحقة بذراع مقعده ، والتى ارتسمت فوقها صورة ثلاثية الأبعاد تدور حول محورها للمقدم ( إيهاب ) ، وانتبه كذلك للشاشة المشابهة الملحقة بذراع مقعد العميد ( منصور ) ، والموصلة بلوحة تحكم يغير بوساطتها العميد ما تعرضه كيف شاء ، كما انتبه أيضًا إلى أن الطائرة قد أقلعت بالفعل ، إذ لا ينتج هذا الصفير داخل الأذن إلا من انخفاض الضغط الجوى مع الارتفاع المطرد لأعلى ..

ـ بالطبع أعرفه ، لقد كنت ممن تلقوا دورة تدريبية على يديه منذ عدة أشهر فى استخدام

المسدسات الصغيرة من طراز (K123) ، وهو بحق أستاذ ضليع فى مجال الأسلحة الحديثة والطرق المثلى لاستخدامها ..

هز العميد (منصور ) رأسه بالإيجاب مرة أخرى ، ثم غمغم دون مقدمات :

ـ لقد قضى نحبه منذ أيام فى انفجار سيارة فى (برلين ) ، وكان بصحبته واحد من خيرة رجال العلم فى (مصر ) ، د. (مهدى عبد القادر ) ..

تغيرت الصورة على الشاشة بصورة د. (مهدى ) ، مع غمغمة (عمر ) المتأسَية :

ـ يا إلهى !

ـ هذا ما انتهى إليه الأمر ، نقيب (عمر ) ، أما البداية فقد كانت هنا ..

تغيرت الصورة مرة أخرى ، لتظهر محلها



خريطة رمادية تحمل أرقامًا جانبية كثيرة ، واستطرد العميد (منصور ) مفسرًا :

ـ هذه صورة مكبرة آلاف المرات التقطها قمر تجسس صناعى فى أواخر ثمانينات القرن الماضى لمفاعل نووى روسى تم تشييده فى غرب (سيبيريا ) فى منتصف الستينات ، بهدف فصل وتنقية وإعادة معالجة مادة (البلوتونيوم ) ونظائرها المشعة اللازمة لإنتاج القنابل النووية ، وقد كان المفاعل يعمل بكفاءة حتى بداية التسعينات عندما تقوضت أعمدة المعبد الشيوعى ، فلم يستطع الاقتصاد الروسى المنهار أن يفى بتكاليف العلماء والفنيين والتقنيات الحديثة اللازمة لبقاء كيان حيوى كهذا ، فصدر القرار وقتها بإغلاقه ونقل المواد الخام والمعدات الصالحة للعمل إلى مفاعل آخر توفيرًا للنفقات ، وبمرور الوقت نسى الجميع أمر هذا المفاعل القديم المهجور ، حتى ...

استحوذت كلمات العميد على اهتمام (عمر) الذى تابعها بكل جوارحه، واستأنف الأول بعد هنيهة من الصمت:

ـ الظاهر أن أحد العاملين بالمفاعل قد انتهز فرصة الفوضى الناجمة عن نقل المعدات وقتها، واستطاع ـ بطريقة ما ـ أن يستولى على خمسة كيلوجرامات من (البلوتونيوم) النقى، ومضت السنون حتى وجد الوقت مناسبًا الآن لاستخراج كنزه المشع من كهوف الماضى، فطرح هذه الكمية للبيع فى السوق النووية السوداء عبر (الإنترنت)!

لاح الاندهاش فى عينى (عمر) المتسعتين، فوضح العميد (منصور) الصورة أكثر بقوله:

ـ لقد أصبحت شبكة (الإنترنت) عالمًا مستقلاً قائمًا بذاته، نقيب (عمر)، فيه الخير والشر،



الأبيض والأسود، الملائكة والشياطين، المشروع والممنوع، صفقات ببلايين الدولارات تعقد، مؤتمرات يحضرها العشرات من مختلف بقاع الأرض دون أن يغادروا بلدانهم، حتى الجرائم والحروب والانقلابات السياسية تحاك وتنفذ من خلاله هذه الأيام، هذه نقطة، النقطة الأخرى أن كمية مثل الكيلوجرامات الخمسة لا تمثل أدنى أهمية لعمالقة النادى النووى الدولى مثل (الولايات المتحدة الأمريكية) و (روسيا) و (الصين)، لكنها تعنى الكثير جدًا لدول أخرى مازالت تحبو فى هذا المضمار، (باكستان) أو (الهند) أو (كوريا) مثلاً، لهذا نشأت مواقع فى فضاء الشبكة لإقامة جسور بين عارضى السلعة وطالبيها، وهى مواقع شخصية عادية تستضيفها مزودات تمنح هذه الخدمة مجانًا فى مقابل إعلانات تظهر على واجهة المستخدم،

ويتم تغيير أماكنها باستمرار حتى يصعب تقفيها واكتشاف مالكها ، ومن خلال خبير تكنولوجى مصرى يعمل فى ( اليابان ) استطعنا العثور على موقع سمسار ألمانى يدعى ( فريدريش جونتر ) متخصص فى هذه النوعية من المعاملات ، وقد عرض الكمية المذكورة فى موقعه لأعلى سعر مشيرًا إلى المفاعل الروسى الذى أتت منه كما تقتضى أصول البيع من ذكر مصدر السلعة ، لكنه كما تقتضى الأصول أيضًا أخفى شخصية مالك البضاعة الذى لم يعرفه أحد حتى هذه اللحظة ، ربما كان عالمًا روسيًّا خاف على نفسه من التشرد بعد الاستغناء عن عمالة المفاعل الزائدة ، ربما كان فنيًّا طامحًا إلى الثروة ، ولكن أيًّا كان هو ، وأيًّا كانت دوافعه ، فقد تقدمنا نحن بأعلى سعر لشراء الكمية منه !

تضاعف الاندهاش المطل من عينى ( عمر )



آلاف المرات وعقد الذهول لسانه برغم آلاف الأسئلة التى احتشدت فى رأسه ، فسارع العميد ( منصور ) بالقول :

ـ لا تسألنى ما لن أستطيع إجابتك عنه يا فتى ، كل ما أستطيع قوله لك إننا فى هذا الزحام الدولى المتهافت لحيازة القوة لن نقف أبدًا مكتوفى الأيدى ، ولن نقتنع بدور المشاهدة السلبية ، إن ( إسرائيل ) وحدها تملك ترسانة نووية قادرة على تحويل الشرق الأوسط كله إلى هشيم تذروه الرياح ، وهو ما يجعل ميزان القوة القائم على الرعب من طرف واحد ـ طرفها هى ـ راجحًا لصالحها ، ولا تستقيم الأمور على هذه الشاكلة إلا لو تساوت كفتا الميزان ، حتى لو كان التوازن هو توازن الرعب المتبادل كما يسميه المحللون السياسيون ..

ثم إنه ضغط بضعة أزرار فى لوحة التحكم بالشاشة أمامه، وقال :

ـ ولنعد الآن للمجرى الرئيسى لموضوعنا ..

روى العميد (منصور) بعدها ما دار فى (برلين) عارضًا على الشاشة الوثائق الإخبارية المصورة لحادث انفجار السيارة، ولمصرع (جونتر) فى شقته، فهتف (عمر) فى غضب :

ـ إنه نفس أسلوب رجال (الوحدة ٨٢٠٠) الغادر ..

ـ لانستبعد أن يكونوا هم بالفعل، فقد فعلوها من قبل مع د. (سميرة موسى) ود. (يحيى المشد)(*)، وربما كانت أى جهة أخرى مناهضة

---

(*) د. (سميرة موسى) (١٩١٧ ـ ١٩٥٢) هى أول عالمة ذرة مصرية، تخرجت فى كلية العلوم وحصلت على الدكتوراه من (لندن)، لقيت مصرعها فى (كاليفورنيا) =



لفكرة أن نتقدم إلى مصاف الدول ذات الهيبة، ولكن الأولوية الآن لاستكمال المهمة والعودة بالبضاعة المطلوبة، لقد انتدب المكتب (١٧) د. (رشدى نوّار) مساعد العالِم الثالث الفقيد للقيام بدوره فى التأكد من سلامة وصحة (البلوتونيوم عند التسليم، وقد قمت بتزكية ترشيحك لتستكمل أنت دور المقدم (إيهاب) رحمه اللّه.

قال (عمر) فى ثبات وحزم وهو يتفرس فى صورة د. (رشدى) فوق شاشة مقعده :

ـ أنا لها يا سيادة العميد ..

---

= عندما دفعت سيارة أخرى سيارتها لتسقط من هاوية مرتفعة، وقيد الحادث ضد مجهول، أما د. (يحيى المشد) (١٩٣٢ ـ ١٩٨٠) فقد تخرج فى كلية الهندسة جامعة (الإسكندرية) وعمل فى مؤسسة الطاقة الذرية العراقية ولقى مصرعه فى فندق (ميريديان) بـ (باريس) إثر ضربتين حادتين بالرأس وقيد حادثه ضد مجهول أيضًا، هما أشهر عالمين مصريين فى الذرة تم اغتيالهما لكنهما ليسا الوحيدين فالقائمة طويلة !

ـ ستكون المخاطر مضاعفة هذه المرة ، لكن بؤرة الضـوء الوحيـدة هـى معرفتنـا النسـبية والضئيلة بهوية من نواجه !

قالهـا العميد ( منصـور ) وهـو يضغـط أزرار لوحـة التحكم ، فتغيرت الصـورة بـأخرى أخـذ ( عمر ) يحدق فيها بشدة ، إن هذا الرجل ـ ذا الهيئة الممعنة فى الغرابة ـ الذى يسير فى كادر ثابت ممسكًا بحقيبة فى يده اليسرى وبحاسب آلى نقال فى يده اليمنى مثبتًا سيجارًا ( هافانا ) فى فيه يبدو مألوفًا له ..

ـ لقد حصل رجالنـا فـى ( برلين ) علـى هذه الصورة من تفريغ لشريط فيديو سجلتـه كاميرا كانت قابعة فى بـراءة داخل الواجهـة الزجاجيـة لأحد متاجر الأجهزة الإلكترونية ، ولحسن حظنـا لم يلاحظ الرجل وجودها وهو سائر فى الشـارع الذى تم فيه الانفجار ، وهو طبقًا لما وجدناه فى



سجلات الإرهابيين الدوليين لدينا يدعـى ( ديفيد جوردون ) ، أمريكى الأصل حاصل على المركز الأول لثلاثـة أعوام متتاليـة فـى مسابقة ولايـة ( فلوريدا ) للرماية ، وكان يعمل خبيرًا للمفرقعات فى المباحث الفيدرالية الأمريكية قبـل أن يتحـول إلى قاتل أجير ، ومرتزق لحساب أشهر المنظمات الإجراميـة العالميـة كـ ( المافيا ) ، تسعى خلفـه الشـرطة الدوليـة ( الإنتربول ) منـذ سـنين دون جـدوى ، وتشـير الأقاويل إلى تعاونه مع رجال الوحدة ( ٨٢٠٠ ) فى عمليات تمت فـى ( أوربـا ) مرة أو أكثر ، ربما كانت هذه إحداها ..

صمت العميـد ( منصـور ) لحظـة رتـب فيهـا أفكاره وكلماته ثم تابع :

ـ المدهش فـى أمـر هـذا الرجـل هو تحولـه العجيب والمفاجئ من النقيض إلى النقيض ، فقد كان معـروفًا ـ فى أثنـاء عملـه فى المبـاحـث

الفيدرالية ـ بدماثة الخلق وحسن السير والسلوك ، وبين ليلة وضحاها أصبح مجرمًا بوهيميًا سادى الطبع عصبى المزاج (يتنفس) القتل كما نتنفس نحن الهواء ، دون أن يظهر لهذا أى أسباب أو مقدمات ، لقد تم استئجاره للقضاء على د. (مهدى) عالمنا الثالث ، ويبدو أنه قد نفذ مهمته بنجاح معتمدًا على خبراته القديمة فى مجال المفرقعات ، إن هذه الحقيبة التى يحملها تحوى عينة (البلوتونيوم) التى قام د. (مهدى) رحمه اللَّه بفحصها لاريب ، وهذا الحاسب الآلى النقال هو الخاص بالسمسار الصريع (جونتر) الذى قام بقتله هو الآخر ، وهذا يعنى انكشاف موعد ومكان التسليم دون شك ..

حدق العميد (منصور) فى وجه تلميذه مليًا ثم أردف :

ـ ويعنى أيضًا أن العبء الملقى على كاهلك



مهول بحق ، نقيب (عمر) ، عليك أن تعود بالشحنة كاملة وسليمة ، وأن تحمى عالِمنا الرابع من مصير سابقيه ..

أخذ (عمر) نفسًا عميقًا ملأ به صدره ، ثم قال بصلابة :

ـ بإذن اللَّه (سبحانه وتعالى) ..

هز العميد رأسه محاولاً أن يطمئن نفسه ، ثم قال وهو يضغط أزرار لوحة التحكم فتتغير الصورة بأخرى عبارة عن خريطة سياسية لمنطقة شرق (أوربا) ، تحمل خطوطًا حمراء تصل بين نقاط متباعدة :

ـ ستهبط بنا هذه الطائرة فى (اسطنبول) ، وستقضى الليلة ونهار الغد بها لتقابل د. (رشدى) مساء الغد فى المطار ، فتستقلان الطائرة المتجهة إلى (جورجيا) ..

كانت الخطوط الحمراء تنتهى فى مدينة

(تفليس) عاصمة (جورجيا) فوق الخريطة، فقرأ العميد (منصور) السؤال فى عينى (عمر) وأسرع يجيب عنه قبل أن يلقيه الأخير :

ـ كلا، نقيب (عمر)، لن يتم التسليم فيها، ستكون محطة (ترانزيت) تستقلان منها طائرة مروحية إلى الموقع المتفق عليه ..

وأسرع يضغط أزراره، فاتسعت عينا (عمر) وهو يحدق فى الخط الأحمر الذى امتد من (تفليس) إلى مكان آخر فى الشمال، والعميد (منصور) يتابع ضاغطًا على حروف كلماته :

ـ نعم أيها النقيب، سيكون التسليم فى (جروزنى) عاصمة (الشيشان)(*)، وسط أتون الحرب الرهيبة المندلعة هناك !

★ ★ ★

---

(★) تقع جمهورية (الشيشان) فى منطقة شمال شرق =



من خلال السحب الدانية الكثيفة المتصاعدة من طرف سيجاره (الهافانا)، أخذ (ديفيد جوردون) يحدق فى صورة د. (رشدى نوّار) فوق شاشة حاسبه الآلى النقال، والبيانات المتراصة أسفلها التى أشارت إلى طلب تصفيته ..

ثم إنه ضغط زر إنزال الملف إلى شريط الأدوات فى طرف الشاشة، لتظهر من خلفه

---

= (القوقاز) وتبلغ مساحتها ١٧,٠٠٠ كم٢، تحدها جنوبًا جمهورية (جورجيا) المستقلة، وغربًا (أنجوشيا)، وشمالاً وشرقًا (داغستان)، تتميز مناطقها الشمالية بالمراعى الخضراء التى يرويها نهرا (طارق) و (سونجا)، وجنوبًا تقع جبال (القوقاز) العالية، عاصمتها (جروزنى) الشهيرة بتكرير البترول وصناعة الأنابيب، فى ٢ نوفمبر ١٩٩١ أعلنت (الشيشان) استقلالها وتم إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية عام ١٩٩٢، لكن الدستور الروسى الصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٩٣ اعتبرها جزءًا من (روسيا) الاتحادية، فاندلعت الحرب الأولى (١٩٩٤ ـ ١٩٩٦) ثم الثانية التى ما زالت مستمرة حتى لحظة كتابة هذه السطور ..

واجهة برنامج التحادث المنقسمة إلى نصفين طوليين ، وشرع ينقر أزرار لوحة المفاتيح لتتراص الكلمات فى النصف الخاص به :

ـ ستكلفكم العملية ضعف المبلغ المذكور ..

ظهرت على النصف الخاص بمحادثه عبارة :

ـ حدد بنود الخطة فى عجالة ..

انعكس ضوء الشاشة على عدسات منظار (ديفيد) الشمسى ـ الذى لا يخلعه عن عينيه أبدًا ـ وهو يضغط الأزرار لتتراص الحروف إلى جوار بعضها مكونة خطته الجهنمية ، وبمجرد انتهائه من سردها سريعًا طالعته فوق النصف الآخر عبارة :

ـ فى الواقع إن لدينا رجالاً كثيرين على قدر وافٍ من الحنكة والبراعة ..



برزت العظمتان فى مؤخرتى فكى (ديفيد) ، قبل أن تكتمل الجملة على النحو التالى :

ـ لكنك ما زلت تثبت أنك الأفضل أيها الرجل !

ارتسم شبح ابتسامة زهو على شفتيه ، واستمر محادثه يقول كتابة :

ـ موافقون مبدئيًا على الخطة ، سيتم تحويل نصف المبلغ فى غضون ١٢ ساعة ، والباقى بعد التنفيذ ، إياك أن تنسى أن الأولوية لمنع عملية التسليم فى (جروزنى) ، لقد حددنا لك كيفية الاستفادة من مناطق قوتنا ونفوذنا هناك ، وتم حجز مقعد لك على طائرة (اسطنبول) التى ستقلع بعد أربع ساعات ..

ـ هذا جيد ..

ـ سوف يصلك خبير التنكر الخاص بنا بعد ساعة على الأكثر ، وسيحمل معه تذكرة الطائرة

وتصاريح الدخول وكافة الأوراق الأخرى التى قد تحتاج إليها ..

ـ لا تنس أن ترسل لى أهم ما فى الأمر ..

ـ ماذا ؟!

ـ صندوق من سيجار ( الهافانا ) الفاخر ..

ـ فقط ؟!

ـ ومسدس من طراز (K123) ، إننى أعشق هذا النوع من المسدسات حقًا !

* * *

للمرة العاشرة أخذ ( عمر زهران ) يراجع الخطة ـ التى رسمها خبراء المكتب وأبلغه العميد ( حرب ) بتفاصيلها فى الطائرة بالأمس ـ فى رأسه ، مغالبًا دقات قلبه المتزايدة رغمًا عنه كلما فكر فى خطورة المهمة المقبل عليها ..



شرد ببصره خارج زجاج نافذة سيارة الأجرة التى استقلها إلى مطار ( اسطنبول ) ، من موقع الفندق الذى بات فيه ليلة أمس ، الليل فى ( تركيا ) يتلألأ بالأضواء البعيدة المتناثرة فى بحر الظلام الأسود الدامس ، والمطار يقترب ..

تحسس المظروف الكبير المستكنّ فى جيب معطفه ، إنه يحوى أوراق هويته المزيفة كصحفى أمريكى جوال يعمل لحساب مجلة ( نيوزويك ) ، وهو ما ستؤكده بيانات شبكة المعلومات الخاصة بالمطار طبقًا لما دسّه خبراء التقنيات العاملين فى المكتب (١٧) بها ، ويحوى أيضًا ما هو أهم ، تصريحان للدخول إلى ( جروزنى ) صادران من القيادة العسكرية الروسية فى ( الشيشان ) يحملان توقيع قائد القوات الروسية بنفسه ، وهما حقيقيان إذ إن هذه التصاريح غير قابلة للتزوير !

ـ إن التصريح يحمل رقمًا متسلسلاً يتم مراجعته بدقة عند بوابات الدخول ومطابقته بما هو صادر فعلاً من مقر القيادة يدويًا ودون حاسبات آلية أو شبكات معلومات معرضة للتلاعب ببياناتها ..

هذا ما قاله العميد (منصور) فى الطائرة وهو يناوله المظروف ، ثم إنه تابع :

ـ لانعلم حتى الآن كيف حصل عليها (جونتر) قبل أن يُقتل ، لكنه لم يسلمها للمقدم (إيهاب) أو د. (مهدى) قبل أن تنفجر بهما السيارة ، وإنما أرسلها بالبريد السريع الدولى إلى عنوان الأول لحسن حظنا ، إذ لو لم يفعل هذا لأصبح الأمر فى غاية الصعوبة بالنسبة لنا ولاضطررنا للتسلل إلى (جروزنى) برًّا !

فضّ (عمر) الأوراق أمامه ، واستمر العميد يشرح الخطة مستطردًا :



ـ أنت الآن (جيمس والاس) الصحفى الأمريكى المهتم بما يدور فى (الشيشان) ، أما د. (رشدى) فهو البروفيسور (إدموند غالى) أحد الأعضاء المؤسسين لمنظمة (مراقبة حقوق الإنسان) الدولية ، إنهما الهويتان الزائفتان اللتان قمنا بإعدادهما للفقيدين وكل ما قمنا به الآن هو استبدال صورتيهما بصورتيكما ، سيجعل هذا دخولكما قلب المعترك هناك مسببًا ومقنعًا للغاية ..

ـ هنا يا سيدى ؟!

أفاق على سؤال سائق سيارة الأجرة ، فنقده أجره وهبط على الفور حاملاً حقيبة جلدية سوداء فوق كتفه ، ثم اتجه دون تردد نحو مدخل المطار ..

غمرته فى الداخل أضواء (النيون) النقية ، صالة المطار كالمعتاد تعج بالوجوه المتباينة

الأشكال والألوان ، بشر من كل الأجناس ، عربات محملة بالحقائب والأمتعة ، أقدام مهرولة ، دمعات وداع وهتافات ترحيب مشتاقة ، شاشات تعرض مواعيد إقلاع وهبوط الطائرات على الترتيب ، بقى أقل من نصف الساعة على ميعاد طائرة ( جورجيا ) ، فهل تأخر ؟!

فى خطوات سريعة توجه نحو درجات السلم الكهربائى الصاعدة التى أقلته وسط كثيرين إلى الطابق الثانى ، ودقت خطواته فوق الأرضية الرخامية البراقة متجهًا نحو ركن تسطع منه أضواء خضراء ووردية ، واللافتة الكبيرة فوق بابه تشير إلى أنه ( المطعم الإسبانى ) ، مكان اللقاء المتفق عليه ..

عبر مجسم ( الجيتار ) الكبير عند المدخل ، وجال ببصره فى المناضد شبه الخالية حتى



صافحت عيناه وجه د. ( رشدى نوّار ) ـ بلحيته الكثيفة وشعره ذى الخصلات الرمادية ـ جالسًا فى الركن البعيد يحتسى فنجانًا من القهوة التركية ، والقلق باد على قسمات وجهه المرهقة ..

دنا ( عمر ) منه ، ووجده د. ( رشدى ) يجلس أمامه فجأة قائلاً فى نبرة خافتة نوعًا :

ـ مساء الخير يا دكتور ، أنا مندوب ( القصر ) المكلف بمرافقتك ..

أعاد د. ( رشدى ) فنجان قهوته إلى الطبق الخالى فوق المنضدة ، وأخذ يمعن النظر فى ملامح ( عمر ) دون أن ينطق ، صحيح أن ( القصر ) هو الاسم الرمزى للمكتب (١٧) الذى أخبروه فى ( مصر ) أن رجلهم سوف يستخدمه ، وصحيح أنه رأى صورة ( عمر ) فى مكتب اللواء

(عفت) تسهيلاً لعملية اللقاء والتعارف منذ أقل من يومين، لكن ...

ـ أنت ؟!

سأله د. (رشدى) فى حذر، فأجابه (عمر) وهو يومئ برأسه أن نعم:

ـ أجل يا دكتور، وإنه لشرف عظيم لى أن أكون مخولاً بقامة علمية سامقة مثلك ..

حاول د. (رشدى) أن يكون دبلوماسيًا قدر استطاعته وهو يقول:

ـ ولكن .. إحم .. اعذرنى، ألا تبدو صغير السن قليلاً ؟!

هز (عمر) كتفيه مجيبًا فى غير ضيق:

ـ تستطيع القول إنهم يحبون ـ لدينا فى



(القصر) ـ أن يمنحوا فرصًا متجددة للجيل الصاعد !

ثم إنه ابتسم فى هدوء مردفًا:

ـ وعسى ألا أكون قد تأخرت ..

بمجرد أن أنهى عبارته انطلق النداء ـ بصوت أنثوى ناعم عبر سماعات المطار كلها ـ على ركاب طائرة (جورجيا) مناشدًا إياهم بالتوجه إلى بوابة دخول الطائرة، فرفع د. (رشدى) سبابته مشيرًا إلى سماعة وهمية فى السقف، ليقول عقب انتهاء النداء:

ـ أعتقد أن هذه أبلغ إجابة ..

اتسعت ابتسامة (عمر) وقبض على حقيبته الجلدية قائلاً:

ـ هلم بنا إذن ..

مد د. (رشدى) يده نحو فنجان القهوة قائلاً بدوره :

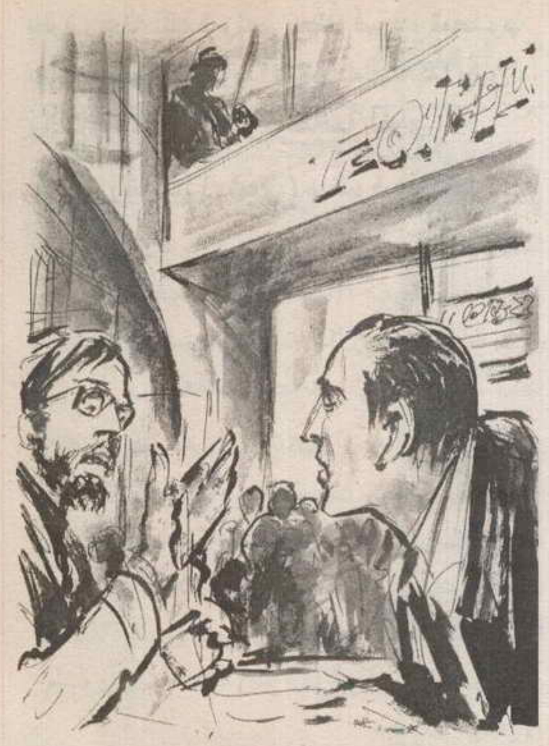
ـ دعنى أؤخرك أنا قليلاً ، فما زال فى الفنجان رشفة أو اثنتين ..

قرب الفنجان من فمه ببطء ، لكن شفتيه لم تلامسا حافته أبدًا ..

فجأة ، انكسر الفنجان ، وتساقطت محتوياته فوق ملابس د. (رشدى) ممتزجة بالدم الذى تفجر من يده ، وانطلقت صيحة الألم من حنجرته ، كل هذا فى ثانية واحدة ..

وفى الثانية التالية ، التفت (عمر زهران) برأسه نحو الشرفة العلوية البعيدة نسبيًا للطابق الثالث من المطار والمطلة على المطعم ، ليلمح





وفى الثانية التالية ، التفت ( عمر زهران ) برأسه نحو الشرفة العلوية البعيدة نسبيًا للطابق الثالث من المطار والمطلة على المطعم ..

بطرف عينه ذلك المرتدى معطفًا أسود ، المصوب مسدسًا نحوهما ، مزودًا بكاتم للصوت كما يبين ، والمتأهب تمامًا لإطلاق رصاصة أخرى ..

نحو رأس د. ( رشدى ) مباشرة هذه المرة !

* * *



## ٣ ـ أرملة ..

الأولوية لحماية ( العالم الرابع ) ، هكذا فكّر ( عمر ) ونفذ فور أن لمح فوهة المسدس المصوبة إلى رأس د. ( رشدى ) ، وقبل أن ينهى هذا الأخير صيحة الألم المدوية ـ جعلت عيون رواد المطار ممن تناهت إلى مسامعهم تلتقى عنده ـ كان ( عمر ) قد تحرك بالفعل ..

فى ثانية واحدة ، استند براحتيه على سطح المنضدة ، وجعل من ساعديه محورى ارتكاز لجسده الذى دار فى الهواء دورة كاملة ليطرق برِجليه عنق د. ( رشدى ) فى النهاية ويدفعه للسقوط بمقعده جاعلاً من يديه وسادة خلف رأس الدكتور وقاية لها من الاصطدام برخام الأرضية اللامع ..

وفى نفس اللحظة ، أصابت الرصاصة عين المكان الذى كانت تشغله رأس د. (رشدى) ، وبدأ الذعر ينتشر بين المحدقين فيما يجرى ما بين شاهق مرتاع أو متسمر ذاهل أو هاتف بضرورة وجود رجال أمن قريبين ..

وقبل أن يستوعب د. (رشدى) ماحدث ، وجد (عمر) ينهض من فوقه فى سرعة لامثيل لها ، ويجذب المنضدة التى كانا يجلسان حولها جاعلاً من قمتها ستارًا مؤقتًا يحميهما من ناحية الرصاصات الآتية لاريب ، ثم يخرج مسدسًا صغيرًا مزودًا بكاتم للصوت من حقيبته الجلدية السوداء ، ويلتفت ناحيته قائلاً فى حزم :

- اسمعنى جيدًا يا دكتور ، سأتولى أمر هذا الوغد ، وعليك أنت بباب المطعم الخلفى ، سيفضى بك إلى دورة المياه وستنتظرنى هناك حتى أعود .. مفهوم ؟!



هز د. (رشدى) رأسه ذاهلاً وقد أنساه الموقف آلام يده المبرحة ، فشد (عمر) على ذراعه قبل أن ينهض منحنيًا ويتخذ مساره بين المناضد كأنه ثعلب يتلمس طريقه نحو قطيع من الحملان متوقعًا أن يمطره ذلك الشبح الأسود الماثل فى شرفة الطابق الثالث بوابل من الرصاصات عندما يلمحه يتحرك ..

غير أن ماتوقعه لم يحدث ، فلم يجد مفرًّا من الانتصاب واقفًا يستطلع الأمر ، فرأى ذلك الرجل بالأعلى وقد أعاد مسدسه إلى ملابسه ، واستدار مبتعدًا عن مرمى بصره فى هدوء من لم يفعل شيئًا ، مع ظهور ثلاثة من رجال أمن المطار عند نهاية السلم الكهربائى الصاعد من الطابق الأول ..

اللعين سوف يفعلها ويهرب ، لم ينتبه إليه أحد بالتأكيد وسيقع هو ود. (رشدى) تحت طائلة

الاستجوابات التى لن تنتهى من قبل السلطات التركية ، خاصة مع هذا المسدس الذى يشهره فى مكان عام ..

ها هو ذا لم يغب عن عينيه تمامًا بعد ، فهل يكون هو (ديفيد جوردون) بنفسه ؟!

ليكن من يكون لكنه لن يدعه يمضى هكذا بكل سهولة ..

لن تسعفه درجات السلم الكهربائى البعيدة ، فالزحام عليها كثيف ، والدرجات العادية بجوارها ستمنح الوغد دهرًا كاملاً للإفلات ، والمصاعد كذلك ، لايوجد حل بديل عما برق فى ذهنه لحظتها إذن ..

بكل ما أوتى من قوة وما استطاعته قدماه من سرعة ركض (عمر) نحو شرفة الطابق الثانى الواقعة أسفل شرفة الثالث مباشرة ، بالتحديد



أكثر نحو آلة بيع المياه الغازية بالعملات المعدنية الرابضة أمامها ، وبحركة رشيقة قفز فوق سور الشرفة لتنثنى ركبتاه عن آخرهما ثم قفز قفزة أخرى - أكثر رشاقة وصعوبة - إلى قمة الآلة ليقف فوقها تمامًا ، وسط شهقات الواقفين واتساع أعينهم التى أسعدها الحظ برؤية قفزة كهذه جديرة بالأولمبياد لا أقل ..

- قف عندك ..

صاح بها أحد رجال الأمن الثلاثة بالتركية وقد أصبحوا فى منتصف المسافة بين السلالم الكهربائية وموقع الآلة ، لكن (عمر) لم يقف برغم اقترابهم الراكض منه ، وإنما رفع عينيه لأعلى ليجد أن مترين تقريبًا مازالا يفصلانه عن سور الشرفة العلوية ، والقفز إلى ارتفاع كهذا يعد انتحارًا باستخدام الجاذبية الأرضية ، لكن اللوحة الإعلانية المضيئة المتدلية بحبلين

معدنيين من الشرفة المذكورة ستجعل المسألة أكثر معقولية ..

هكذا فكر (عمر)، وكالمعتاد نفذ على الفور ..

تعالت الشهقات الذاهلة أكثر، حتى إن رجال الأمن الثلاثة قد توقفوا عن الركض بغتة محدقين فى (عمر) الذى ألقى بنفسه فى الهواء، قبل أن تتعلق ذراعاه بسطح اللافتة العلوى، لكن أحدًا بالتأكيد لم يشعر بما عاناه من آلام فى عضلاته ومفاصله، وهو يجاهد حتى يمنع نفسه من السقوط القاتل، ويحاول أن يعتلى قمة اللافتة ضاغطًا بفكيه على أسنانه التى كادت أن تتفتت ..

- هل تظنان أنه سيفعلها ؟

سأل أحد رجال الأمن زميليه فى لهجة مأخوذ بما يرى، ولم يعطه أحدهما جوابًا إذ استغرقتهما



متابعة (عمر) كأنه مشهد فى فيلم حركة حابس للأنفاس، بينما غمغم د. (رشدى) لنفسه من مكمنه خلف المنضدة المقلوبة وهو يتابع بدوره تعلق (عمر) باللافتة من خلال فرجة ضيقة :

- تماسك يا فتى، ستفعلها بإذن اللّه ..

وباغته شعور الألم فى كفه الجريحة النازفة دمًا، فعاود النظر إلى (عمر) الذى بدا أنه يبذل قصارى جهده ليعتلى اللافتة، وواصل غمغمته كأنه يناجيه من بعيد :

- وستجدنى عندها حيث اتفقنا ..

ثم نهض عاديًا إلى باب المطعم الخلفى مستغلاً ابتعاد كل الأنظار عنه نحو (عمر)، الذى صرخ صرخة مكتومة كأنه يشد بها من أزر نفسه وهو يستند على ذراعيه ليحملا جسده كله إلى أعلى، فيستلقى فوق سطح اللافتة العلوى

العريض نسبيًا، ثم يقف فوقها فى النهاية شاخصًا ببصره نحو سور الشرفة الذى أضحى دانيًا للغاية ..

كان يلهث، لكنه لم يكن على استعداد لإضاعة ثانية إضافية قد تتيح الفرصة لذلك الرجل المتشح بالسواد - والذى مازال يلمحه وسط الزحام سائرًا بنفس الهدوء المتزن - أن يهرب، أو يذوب فى خضم البشر كذرة من الملح فى كوب من الماء ..

ثم إن رجال الأمن الثلاثة قد أفاقوا من غيبوبتهم اللحظية وواصلوا الهرولة نحوه مطلقين عبارات تحذير باللغة التركية يمكنه فهم معناها ضمنيًا، والمسافة بينهم وبينه تقل تدريجيًا، بالإضافة إلى أنهم يحملون أسلحة نارية بكل تأكيد ..



عليه إذن أن يقفز إلى سور الشرفة، غير مبال بـ ...

مهلاً، إن الشبح الأسود يقف، ويستدير، ويصوب فوهة كاتم الصوت نحوه هذه المرة، مازال يمكنه أن يراه عبر زجاج سور الشرفة الذى يظهر رأسه وجزءًا من صدره، معنى هذا أن الوغد قد أدرك - ربما من اللحظة الأولى - أن (عمر) يطارده ..

بحركة غريزية ركع (عمر) مستندًا على ركبتيه، فى نفس اللحظة التى تحطم فيها زجاج سور الشرفة بفعل رصاصة مكتومة، أدرك (عمر) - بعد فوات الأوان - أنه لم يكن المقصود بها مباشرة ..

لقد صوبها الوغد نحو الحبل المعدنى الأيمن الذى يحمل اللافتة الإعلانية المضاءة، التى يقف فوقها (عمر)، وأصابت هدفها بمنتهى الدقة،

فقد انقطع الحبل المغذى، وكان هذا يحمل معنى واحدًا ..

أن (عمر) سيهوى من ارتفاع ثلاثة طوابق، إلى أرضية رخامية لامعة !

* * *

- تفضل ..

هتف بها اللواء (عفت حفنى) فى نبرة عالية، ليدلف على إثرها العميد (منصور حرب) غرفة مكتبه، قائلاً فى رصانته المعهودة وهو يجلس أمامه :

- لقد استدعيتنى يا سيادة اللواء، لعل فى الأمر خيرًا ..

أشار اللواء (عفت) إلى الصورة المرتسمة فوق شاشة الحاسب الآلى القابع بجواره وهو يقول بأسلوبه المباشر الذى يصيب قلب الهدف بلا مقدمات :



- أظنك تعرف صاحبة هذه الصورة، عميد (حرب) ..

نظر العميد (منصور) إلى صورة المرأة الشقراء الشعر، البيضاء البشرة، الرمادية العينين، المطلة عبر الشاشة، وقال بعد هنيهة من الصمت المحدق :

- أجل يا سيادة اللواء، أظن أنا الآخر أننى أعرفها، أليست هى أرملة المقدم الفقيد (إيهاب مجد الدين) رحمه الله ؟!

- بلى، هذا صحيح ..

قالها اللواء (عفت) فى تأييد، فتابع العميد (منصور) كأنه يعصر أفكاره :

- ولو لم تخننى ذاكرتى فهى د. (ناديا) الأرمنية الأصل التى تعرف عليها الراحل فى مهمة له بـ (جنيف)، وتزوجا منذ عدة أشهر، لكنها ظلت هناك ولم تأت لـ (مصر) أبدًا ..

ـ ذاكرتك حديدية كالمعتاد أيها (الصقر العجوز)، إن د. (ناديا) تعمل فى منظمة الأمم المتحدة، وكانت تعد العدة لنقل عملها إلى مقر المنظمة فى (مصر)، لكنهم لم يوافقوا لها على الانتقال إلا بعد ثلاثة شهور من الآن ..

هز العميد (منصور) رأسه غير واجد لما يقال، فاستطرد اللواء (عفت):

ـ إننا نحاول الاتصال بها منذ أربعة أيام بكل الوسائل المتاحة حتى نبلغها بمصرع زوجها الراحل دون جدوى، هاتف المنزل لايرد عليه أحد، وكذلك هاتفها الخلوى مغلق باستمرار، ولم تعطنا ردًا واحدًا على عشرات الرسائل الإلكترونية التى بعثنا بها إليها، لدرجة أننا كلفنا عددًا من رجالنا ـ بالتعاون مع جهاز المخابرات ـ بالبحث عنها فى (جنيف) كلها، لكن النتيجة جاءت سلبية تمامًا، إنها حتى لم تشاهد



فى مقر عملها بمفوضية حقوق الإنسان منذ الأيام الأربعة المنصرمة ..

تنحنح العميد (منصور) ثم سأل:

ـ وما هى علاقتى بهذا الأمر ياسيادة اللواء ؟!

ـ إننى لم أكمل حديثى بعد، عميد (حرب)، النقطة المهمة فى الموضوع أننا تلقينا منذ ساعات قلائل رسالة بالبريد الصوتى ـ أرسلتها لنا د. (ناديا) ـ من (اسطنبول)!

عقد العميد (منصور) حاجبيه سائلاً فى استغراب:

ـ عفوًا ياسيدى، من أين ؟!

ـ أنا لم أخطئ قولها، وأنت لم تخطئ سماعها، عميد (حرب)، ولو اطلعت على فحوى الرسالة لتعجبت أكثر وأكثر ..

وعقد اللواء (عفت) حاجبيه بدوره مضيفًا فى عمق :

- يبدو أن الأمور سوف تتخذ منحنى آخر أكثر خطورة !

★ ★ ★

شعر (عمر) بجسده يهوى من حالق واللافتة الإعلانية تحت قدميه تميل إثر انقطاع حبلها المعدنى، لكنه لم يترك نفسه تنقاد وراء هذا الشعور، وبسرعة استطاع بها أن يهزم زمن (أينشتين) وجاذبية (نيوتن) قفز متعلقًا بقبضته الحرة فى الحبل المعدنى الآخر، متفاديًا بيده الأخرى الممسكة بالمسدس شظايا الزجاج المتناثر بفعل طلقة الرصاص ..

ومع تهاوى اللافتة، وتأرجحها فى الهواء بجسد (عمر)، تحول اهتمام المتطلعين الذاهل



إلى صرخات هلع مرتعبة غادرت حناجر النساء بالذات، وتوقف رجال الأمن الثلاثة عن هرولتهم مجددًا ليتبادلوا نظرات متسائلة، أنهاها أحدهم قائلاً :

- يبدو أن هناك إرهابيًا آخر فى الطابق الثالث ..

هتف الثانى جاذبًا ذراع الثالث فى سرعة :

- سنذهب أنا و (كيوكان) لاستطلاع الأمر، واهتم أنت بما يحدث هنا ..

ثم إنهما غيّرا اتجاه عدوهما ناحية السلالم الكهربائية التى أتيا منها، بينما التفت الأول نحو ما يجرى أمامه عند اللافتة، وقد أسقط فى يده ..

أما (عمر) فقد انتظر حتى قربه تأرجح اللافتة من حافة الشرفة ذات الزجاج المهشم، وبحركة جمبازية ثنى ركبتيه ورفع جذعه لأعلى،

ثم فرد رجليه عن آخرهما ودفع جسده كله ليطوق بباطن ركبتيه فى النهاية قضيب الشرفة المعدنى العلوى ، ثم ترك نفسه يتأرجح ـ بعيدًا عن اللافتة ـ كأنه لاعب (ترابيز) محترف ، قبل أن يدفع بجذعه لأعلى مرة أخرى ليعتدل جالسًا فوق سور الشرفة ، ثم ينطلق راكضًا خلف غريمه برغم أنين عضلات جسمه كلها بألم الحركات البهلوانية التى أداها ..

مازال فى استطاعته رؤية الرجل برغم ابتعاده المطرد وزيادته من سرعة خطواته ، لكنه زاد بدوره من سرعة عدوه مع إخلاء الناس للطريق أمامه ذعرًا من المسدس الذى يمسكه فى يده ..

انحرف الوغد يسارًا ، وبعد ثوان معدودة انحرف خلفه (عمر) ليجد أمامه بوابتى مصعد ، إحداهما مغلقة ، والأخرى فى طريقها للإغلاق



وداخلها الرجل الهدف ، وعبثًا حاول (عمر) أن يدفع جسده بين مصراعى البوابة المنغلقة ، لكن الفراغ بين المصراعين كان أصغر وأضيق من أن يتيح له فعل ذلك بنجاح ..

انغلقت البوابة بالفعل ، فانطلقت من أعماق (عمر) صيحة استياء وهو يضرب قبضته فى راحته ، لكنه غمغم بغضب وهو يلاحظ هبوط المصعد من خلال اللوحة الرقمية أعلى بوابته :

ـ ليكن أيها اللعين ، مازالت هناك فرصة أخيرة ..

السلالم الكهربائية ستكون أكثر ازدحامًا بعد أحداث الشغب هذه ، والمصعد الآخر سيستغرق دهرًا حتى يصل من الطابق الأول ، والقفز من الطابق الثالث للأول أضغاث أحلام ، ليس هناك سوى الدرجات العادية ولحسن الحظ ها هى ذى

بجوار المصعد حيث اللافتة تشير إليها خلف هذا الجدار .. ولكن ...

هل سيستطيع الوصول فى الوقت المناسب مع هذا الإنهاك المهلك الذى يعتريه ؟

هكذا فكر ( عمر ) عندما برز له من الناحية الأخرى رجلا الأمن مشهرين سلاحيهما فى وجهه ، وأحدهما يصيح بجملة رجال الشرطة الأثيرة فى كل مكان وعصر وأوان :

ـ قف عندك ..

تحرك ( عمر ) قبل أن يتم ـ بل قبل حتى أن يبدأ ـ رجل الأمن عبارته ، وبقفزة ( الايروبكس ) الشهيرة التى يتشقلب فيها اللاعب فى الهواء على مرحلتين يفصل بينهما استناده على الأرض براحتيه ، وصل ( عمر ) إلى بداية الدرجات الهابطة خلف الجدار مختفيًا من أمام



الرجلين اللذين تبادلا نظرة بلهاء قبل أن يخفا السير إليه حيث اختفى ، ليجداه عند نهاية الدرجات بالأسفل عن طريق جلوسه فوق ( الدرابزين ) متزحلقًا !

تبادلا الرجلان نظرة أخرى أكثر بلاهة من الأولى ، قبل أن يشرعا فى هبوط الدرجات بخطوات هى السرعة بنفسها ، فى نفس الوقت الذى واصل فيه ( عمر ) هبوطه من الطابق الثانى للأول بنفس الطريقة فوق الدرابزين ، وابتسم فى ظفر عندما وجد نفسه أمام بوابة المصعد قبل ثانية واحدة من انفتاحها بعد وصول المصعد فعليًا إلى الطابق الأول كما تشير اللوحة الرقمية ..

وعندما انفتحت بوابة المصعد ، تغيرت انفعالات ( عمر ) كليًا من الظفر إلى الاكفهرار ، عندما وجد المصعد خاليًا من أى إنسان ، فقط

معطف أسود قابع فوق الأرضية ، يعلوه مسدس صغير مزود بكاتم للصوت ..

اقترب ضاغطًا أسنانه فى غيظ ، ورفع عينيه إلى سقف المصعد بفتحة التهوية المغطاة جيدًا عند مركزه ، ولم يضع أى وقت فى البكاء على اللبن المسكوب ، فتناسى شعوره بالهزيمة مؤقتًا ، ومد سبابة وإبهام يده اليسرى لينتزع من كعب مسدسه شريحة إلكترونية صغيرة ابتكرها خبراء المكتب (١٧) لترسل نبضات تشويش لاسلكية تمكنها من خداع أجهزة كشف الأسلحة فى المطارات ، ثم وضع مسدسه بجوار المسدس الموجود أصلاً بعد أن مسح بصماته عنه فى سرعة ، وأخفى بعدها الشريحة الإلكترونية فى أحد جيوب معطفه السرية .. وبمجرد انتهائه من كل هذا ، سمع الصيحة الأمنية الثالثة تدوى خلفه :



ـ قف عندك ..

وتبعتها هذه المرة عبارة هتف بها رجل الأمن الآخر :

ـ ألق سلاحك ..

استدار (عمر) نحوهما رافعًا يديه فى استسلام وهو يقول :

ـ لست أحمل سلاحًا !

دهش الرجلان لمرآه خائفًا ، وأراد هو أن يستفزهما برسم ابتسامة هادئة على شفتيه لكنه لم يفلح ، ملامحه لم تطاوعه على هذا أبدًا ..

فبرغم كل شىء ، مازال (عمر زهران) يرفض الهزيمة ويمقتها ..

كالجحيم !

★ ★ ★

وحيدًا أمام صنبور المياه ، وقف د. (رشدى) محاولاً تنظيف الجرح وإيقاف نزيف الدم من يده دون جدوى ، فبالرغم من أن الرصاصة لم تستقر داخل كفه ولم تخترقها لحسن حظه ، إلا أنها أحدثت جرحًا قطعيًّا كبيرًا فى طرفها لاتسعفه معلوماته الطبية فى التعامل معه أو حتى فى إيقاف النزيف وتخفيف الألم الرهيب الناجم عنه ، لو كان الأمر متعلقًا بالاندماج والانشطار النووى لأسعفته (الدال) السابقة لاسمه على التعامل مع الأمر بمهارة أكبر !

ماذا عساه أن يفعل ؟! ما هو التصرف الأمثل حتى لاتتدفق دماؤه كلها عبر الجرح خارج جسده ؟! ولماذا تأخر الفتى المكلف بحمايته كل هذا ؟! أيكون قد سقط صريعًا تاركًا إياه يواجه مصيره منفردًا ؟!

رباه .. هل هذا ممكن ؟!



يا لتفكيره الأنانى !

أكل ما يهمه هو حياته ولتذهب حيوات الآخرين إلى الجحيم ؟!

قطع عليه صوت ضميره انفتاح باب دورة المياه من خلفه ، وعندما رفع بصره نحو المرآة رأى رجلاً ملثمًا ينقض عليه من الخلف فى سرعة لم يستطع معها د. (رشدى) حتى أن يلتفت ، كل ما شعر به هو ملمس الخيط الحريرى الناعم حول عنقه ، ثم ضيقه بشدة منعت الهواء من الوصول إلى رئتيه ، والدماء من الوصول إلى دماغه ..

طوقه الملثم من الخلف بحيث لم يستطع التحرك أو حتى المقاومة ، وأخذ يجذب الخيط الحريرى حول عنق الدكتور أكثر وأكثر ، حتى ازرق وجه د. (رشدى) وتدلى لسانه خارج فمه محتضرًا ، عندما انتهى الأمر برمته فجأة كما بدأ فجأة !

سقط د. (رشدى) أرضًا وهو ينتفض كالطير المذبوح، وأصدر تنفسه صفيرًا متواصلاً مع كل شهيق فى محاولة من جهازه التنفسى لاستعادة كفاءته، حتى سكنت حركته تمامًا فى النهاية وخفتت أصوات صدره، بينما خر مهاجمه خلفه فاقدًا لوعيه إثر ضربة قوية فوق أم رأسه، وخلفه وقفت تلك المرأة بالنظرة الجامدة فى عينيها الرماديتين، والملامح القاسية على وجهها اللامع ذى البشرة البيضاء المشربة بحمرة خفيفة، وشعرها الأشقر المعقوص خلف رأسها..

ودون كثير تردد انحنت المرأة بجوار د. (رشدى)، وأمسكت برسغه محاولة السيطرة على أشباح القلق المعربدة فى أعماقها، حتى تنهدت فى راحة.. مازال د. (رشدى) حيًّا..

وهذا هو المطلوب!

* * *



- هذا جنون يا سيادة اللواء!

هتف بها العميد (منصور حرب) مستنكرًا، فور انتهائه من سماع رسالة البريد الصوتى الواردة من (اسطنبول)، فضغط اللواء (عفت) بضعة أزرار على لوحة مفاتيح حاسبه الآلى وهو يغمغم سائلاً:

- هل هذا هو رأيك بالفعل، عميد (حرب)؟!

صمت العميد (حرب) للحظة قبل أن يقول عارضًا أفكاره بصوت مسموع:

- إن د. (ناديا) طبيبة أطفال رقيقة، كما يقول سجلها النفسى لدينا، ومن الغرابة بمكان أن تحمل لهجتها كل هذا الغضب والحقد والرغبة فى الثأر لزوجها!

ثم إنه تنهد قبل أن يتابع محاولاً استخلاص المفيد من فيضان التساؤلات فى رأسه:

- النقطة الأكثر إمعانًا فى الأهمية هى كيف ؟! كيف عرفت أننا سنرسل مندوبين آخرين وأنهما سيكونان اليوم بالتحديد فى (اسطنبول) ؟! بل وكيف عرفت بتفاصيل المهمة وملابسات مصرع زوجها الحقيقية، برغم عدم إعلاننا عنها حتى لها ؟ وبأن موعد ومكان التسليم صباح بعد الغد فى (جروزنى) ؟! إن هذا كله لم ينشر فى الصحف الرسمية على ما أعتقد ..

قال اللواء (عفت) مستطردًا :

- كل شىء ممكن هذه الأيام، عميد (حرب)، مادمت تملك قيمة ماتود معرفته، لقد خمن محللونا أنها استخدمت شوارع (الإنترنت) الخلفية الزاخرة بالقراصنة وسماسرة المعلومات وعصابات القبعات السوداء، وأن أربعة أيام كانت كافية تمامًا لتتعرف أدق التفاصيل بربط المعلومات المتناثرة التى أوصلتها إلى كبد الحقيقة ..



أشاح العميد (منصور) بيده قائلاً فى غير اقناع :

- حتى لو كان الأمر كذلك، إنها تجهر برغبتها فى مساعدتنا واستكمال المهمة انتقامًا لزوجها، كيف ؟! هل ستتمكن من مصاحبة (عمر) ود. (رشدى) إلى (الشيشان) ؟!

- نعم، عميد (حرب)، يبدو أن مصرع زوجها قد حولها من قطة وديعة إلى نمرة مفترسة لاترى أمام عينيها إلا شبح الثأر ..

- هذا هو الجنون بعينه ياسيادة اللواء، حتى لو وافقنا على مشاركتها لهما برغم أنفنا، فمن أين نأتى لها بتصريح دخول إلى (جروزنى) المغلقة أبوابها أمام كل البشر من كل بقاع الأرض، حتى الشيشانيين أنفسهم ؟!

- إنها تحمل واحدًا بالفعل، عميد (حرب) !

ـ ماذا ؟!

هتف بها العميد (منصور) وقد خالف قول اللواء (عفت) توقعاته، وفسر الأخير الأمر بقوله :

ـ إن د. (ناديا رحمانوف) ـ أرملة المقدم (إيهاب) ـ هى المرأة الثانية فى مفوضية حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بعد المفوضة العليا (مارى روبنسون)، وقد صدر لها تصريح خاص من قيادة القوات الروسية بزيارة (جروزنى) للاطلاع على المعتقلات المزعوم انتهاك حقوق المواطنين الشيشان الأبرياء فيها، تصريح حقيقى غير مزور تأكدنا بأنفسنا من صدوره بمقر المفوضية فى (جنيف) !

صمت العميد (منصور) للحظات محاولاً أن يقنع نفسه بهضم المسألة، لكنه هتف فى النهاية مجادلاً :

ـ ماذا لو أن الرسالة الصوتية ملفقة ؟!



ـ لم تفتنا نقطة كهذه، عميد (حرب)، لقد طابق تحليل نبرة صوتها موجات البصمة الصوتية التى نحتفظ بها فى سجلاتنا لكل من لهم صلة برجال مكتبنا، وكان التطابق مثاليًا تمامًا بنسبة ١٠٠٪

وجم العميد (منصور) مرة أخرى، قبل أن يغمغم وقد اعتراه التوتر :

ـ أخشى ما أخشاه أن يتسبب وجودها فى إرباك (عمر)، وتحميل العملية أكثر مما تحتمل !

هز اللواء (عفت) كتفيه قائلاً فى لهجة تسليم بأمر واقع :

ـ لا نمتلك أى سلطة لردعها، وأن تكون تحت سيطرتنا أفضل بالتأكيد من تركها تفسد لنا كل شىء ..

حدق (منصور) فى صورتها فوق الشاشة مليًا، بينما أردف اللواء (عفت) فى لهجة حازمة :

- ستبرق بنفسك للنقيب (عمر زهران) بهذا الشأن، عميد (حرب)، الآن ..

لم يدرِ لحظتها العميد (منصور) ماسرّ الشعور المبهم الذى اكتنفه على حين غرة ..

لابد أن (عمر) يواجه موقفًا عصيبًا ..

لا بد !

* * *

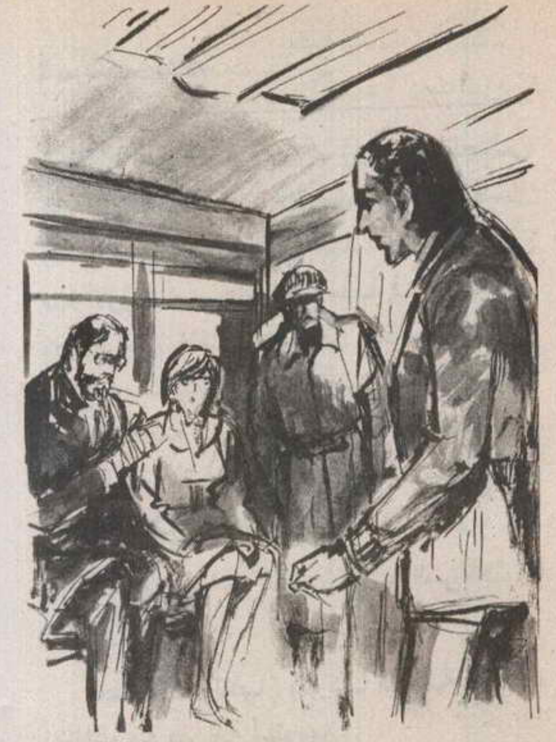


## ٤- هبوط ..

نقل (عمر) بصره بين د. (رشدى) الجالس على أريكة وثيرة - فى مكتب أمن مطار (اسطنبول) - ود. (ناديا) الجالسة إلى جواره، بدا الأول كأى رجل واجه منذ فترة وجيزة تجربة القتل خنقًا، منهكًا ذابل القسمات يتنفس بعمق، وقد التف حول كفه شريط من الشاش الأبيض ببقعة حمراء كبيرة فى منتصفه، أما د. (ناديا) فقد بدت صلدة الملامح، ثابتة الجنان، تشع عيناها ببريق تحد وإصرار ..

- أقدر مشاعر الحزن النبيلة التى تعتريك يا دكتورة، لكن ...

قاطعته د. (ناديا) بنبرتها الرقيقة التى لم تتناغم مع صرامة أسلوبها :



نقل ( عمر ) بصره بين د . ( رشدى ) الجالس على أريكة وثيرة - فى مكتب أمن مطار ( اسطنبول ) - ود . ( ناديا ) الجالسة إلى جواره ..

ـ حتى لانتجادل كثيرًا فيما ليس فيه جدوى ، الأمر منتـه سيد ( عمـر ) ، سأذهب إلـى هنـاك شئت أم أبيت !

قالتها بلغة عربية ركيكة نوعًا ، فعقد ( عمر ) حاجبيه هاتفًا بها بالأمريكية :

ـ اسمى (جيمس)، (جيمس والاس) يادكتـورة، إياك أن تنسى هذا ..

ثم إنه أردف وسخطه يتزايد :

ـ ولسنا بصدد رحلة سياحية إلى ( هاواى ) ، إنها مهمة فى غاية التعقيد والصعوبة !

قالت د. (ناديا) دون أن تتغير نبرتها الهادئـة الرزينة :

ـ أعرف كل شـىء ولـن أتراجـع أبدًا ، لقـد أبرقت لمكتبك فى (القاهرة) منذ ساعات لأخبرهم

بما عقدت عليه العزم ـ كما يقتضى واجبى تجاه الجهة التى كان يعمل فيها زوجى الراحل ـ لكنى لا أنتظر رأى أحد ، لا أنت ولا هم مع خالص احترامى لك ولهم أجمعين ..

وتابعت كأنها بركان يغلى باطنه بما يثور فيه من حمم :

ـ لم أنم منذ أكثر من أربعة أيام ، منذ أتانى خبر انفجار جسد ( إيهاب ) إلى أشلاء لم يستطع جمعها أحد ، لن أروى لك عن أنهار الدموع التى أراقتها مقلتىَ ، ولن تستطيع أبدًا مهما حاولت أن تتخيل كم عانيت من لوعة ومرارة وجدتها تنقلب فجأة إلى توق شديد وشبق حقيقى لمعرفة الفاعل وإذاقته من نفس كأس الفجيعة الذى أذاقنيه !

ستكون مأساة حقيقية لو كان الأتراك يسجلون



حوارهم الآن ، فهذا يعنى انكشاف نصف معلومات المهمة ( السرية ) عن طريق ما تقوله هذه السيدة الثكلى ، هذا ما تداعى إلى عقل ( عمر ) الذى لم يستطع فعل شىء ود. ( ناديا ) تتابع :

ـ لديكم فى ( مصر ) أسطورة فرعونية تروى عن ( إيزيس ) التى أنفقت عمرها لجمع أشلاء زوجها وحبيبها ( أوزوريس ) لتجعله ينجب منها ( حورس ) ، ابنهما الذى انتقم من عمه ( ست ) واستعاد ملك أبيه الغابر ، أشعر أن روح هذه المرأة ـ الإلهة ـ تتقمصنى ، تدفعنى دفعًا لا أستطيع اجتنابه لأقدم إلى روح زوجى قربان حب تخمد به نيران دمه المشتعل ، ولأكون ( إيزيس ) و ( حورس ) فى آن واحد برغم أنى لا أعرف من يكون ( ست ) بالتحديد ، لقد دفعت أكثر من ثلاثة أرباع مدخراتى وعرفت الكثير جدًا ـ فى

وقت قياسى حقًا ـ عن تفاصيل وأسباب مصرع زوجى ، لكن الأوغاد الذين يقفون خلف حادث التفجير لم أستطع الاستدلال عليهم بعد ..

والتمعت العينان الرماديتان الشاردتان فى اللامكان ..

ـ .. سأذهب لأعرفهم ، هذه كلمتى الأخيرة !

قال (عمر) بعد تفكير لحظى :

ـ مادام الأمر هكذا ، فأنت تعلمين بالقطع أننى لا أملك الموافقة على جعلك تصحبيننا ، افعلى ما تشائين يا سيدتى ..

هتفت به محنقة :

ـ اسألهم فى (القاهرة) !

مط شفتيه مغمغمًا دون أن يغير لهجته الأمريكية :

ـ لا أعتقد أنهم سيوافقون !



أشارت إلى د. (رشدى) المستلقى بجوارها دون أن يستطيع التفوه بكلمة هاتفة :

ـ لـ .. لقد أنقذت حياة الدكتور من قتل محقق فى الوقت المناسب ، ولولا وجودى لانتهت مهمتكما قبل حتى أن تبدأ ..

ـ ستكونين من ضمن المكرّمين فى العيد الوطنى القادم مرتين إذن ، مرة لأنك أرملة رجل قضى نحبه محاربًا فى سبيل الوطن ، ومرة ثانية لخدمتك الجليلة هذه !

أرادت أن تقول شيئًا لكنها لم تجد ، وانطلق رنين منغوم من هاتف (عمر) المحمول مصحوبًا بأيقونة مظروف بريدى مغلق فوق الشاشة ، لقد وصلته رسالة قصيرة إذن ، سارع بالإبحار عبر قائمة الهاتف الرئيسية وفض الرسالة ، وعرف أنها آتية من المكتب (١٧) إذ طالعته عبارة :

أدخل الرقم السرى :

هذه إحدى وسائل الحفاظ على سرية المراسلات، فلو تم إدخال الرقم بوساطة شخص يجهله ثلاث مرات متتالية، ستدمر الرسالة نفسها بنفسها ذاتيًا !

قام (عمر) بإدخال الكود الشفرى الخاص المكون من أربعة أرقام تتغير دوريًا، وقرأ كلمات الرسالة القصيرة :

د. (ناديا) معكما، لا تتركاها ..

قطب رغمًا عنه وهو يحدق فى الشاشة محاولاً أن يستوعب الأمر، وطال به الحال حتى إن د. (ناديا) سألته :

- مشكلة ؟!

رفع إليها عينيه ليملأهما من مرآها، قبل أن يهز كتفيه ويقول صاغرًا :



- يبدو أننى سأضطر للموافقة على إتيانك معنا يا دكتورة !

أشرق وجهها دون أن يتبدل قناع الجليد الصلب البارد الذى يكسو وجوه أبناء شرق (أوربا) كلهم، وتابع (عمر) وهو يعبث بأزرار جهاز الهاتف معيدًا واجهة شاشته لما كانت عليه :

- مجبر أخاكِ لا بطل !!

همت بالرد عليه، لكنه قال فى حزم قائد :

- ولا تنسى أن اسمى هو مستر (جيمس والاس)، والدكتور (إدموند غالى) هو من أنقذتِ حياته، اتفقنا ؟!

هزت رأسها بالإيجاب، عندما انفتح باب غرفة مكتب الأمن، ليدلف إليه ضابط شرطة ضخم الجثة مستدير الوجه كث الشارب، يحمل

فوق كتفيه شعار رتبة عالية ، وخلفه رجال الأمن الثلاثة الذين كانوا يطاردون ( عمر ) ، وبمجرد أن رآه ( عمر ) عقد حاجبيه وكسا وجهه الغضب ، ثم هتف بأسلوب أمريكى فج :

ـ لاتقولوا لى إنكم ستعطلوننى أكثر من ذلك ، إنها الثانية عشرة إلا الربع ، ولم يبق سوى دقائق على بداية ( السبت ) ، ألا يكفى أن طائرة (جورجيا) قد أقلعت بدونى ؟! يمكننى أن أقاضيكم فى بلادى بسبب تضييعكم لوقتى الثمين !

حدق فيه الضابط ذو الرتبة الكبيرة ، وقال فى رصانة بالإنجليزية :

ـ تبدو جريئًا بالفعل يا سيد (والاس) بالمقارنة برفيقيك ، برغم أن موقفك هو الأكثر حرجًا بلا جدال !

عقد (عمر) ساعديه أمام صدره وهو يسأل فى استخفاف :



ـ حقًا ؟!

ـ لدينا أكثر من عشرة شهود رأوك تحمل مسدسًا وتثير الذعر العام بين الجماهير ، كما أنك تسببت فى تلفيات عديدة بمنشأ حكومى مهم وحيوى ، ألا يكفيك هذا ؟!

باستهانة قال ( عمر ) مستخدمًا يديه فى التعبير كما يفعل الأمريكيون :

ـ ستتولى المؤسسة الصحفية الضخمة التى أعمل بها سداد كافة التعويضات عما حدث بسببى من تلفيات ، لكننى هوجمت بوساطة إرهابى يحمل مسدسًا يا سيدى ، ود. ( إدموند ) كذلك كما يمكنك أن ترى فى غياب تام من رجال الأمن التركى ، وكان من حقى أن أدافع عن نفسى حتى لا أُقتل !

ـ دفاعك عن نفسك شىء وحملك لسلاح

لاندرى كيف أدخلته إلى المطار شىء آخر يامستر (والاس) !

هتف بها الضابط محنقًا، فقال (عمر) متظاهرًا بالاستغراب :

ـ أنا لم أحمل فى حياتى كلها مسدسًا ياسيدى، لقد كنت أمسك طوال الوقت بهاتفى المحمول هذا، وربما ظنه شهودك هؤلاء مسدسًا نظرًا لأن الإرهابى الآخر الذى كنت أطارده كان يحمل واحدًا ..

ـ أيهما تقصد ؟! الإرهابى الذى طاردته حتى المصعد أم الآخر الذى هاجم الدكتور فى دورة المياه ؟!

سأله الضابط وقد استحال وجهه إلى قرص كروى أحمر، فأجاب بدوره (عمر) :

ـ ما الذى يدرينى ؟!



ـ ربما كان الاثنان واحدًا ياسيدى ..

قالتها د. (ناديا) متدخلة فى الحديث، لكن الضابط لم يلتفت لها وواصل الصياح فى (عمر) :

ـ لقد وجدنا مسدسين فى المصعد يامستر (والاس)، وليس مجرد مسدس واحد، فماذا يعنى هذا ؟!

بادله (عمر) الصياح حتى يصل بأعصابه إلى ذروتها :

ـ لا أدرى ياحضرة الضابط الهمام، لا أدرى ولا أريد أن أدرى، إنه عملكم أنتم لا أنا، تستطيعون استجواب الإرهابى الذى هاجم الدكتور وقتما يستعيد وعيه، أما أنا فلا أعلم أكثر من أن لدى مهمة صحفية فى (الشيشان) يريد أحدهم أن يحول بينى وبين إتمامها، أحدهم لايريد للحقيقة أن تظهر للرأى العام العالمى ياسيدى !

صمت الضابط محدقًا فى ( عمـر ) دون أن تشى ملامحه بأى انفعالات ، فواصل ( عمـر ) أداءه التمثيلى البارع بنبرة أقل حدة وعلوًا :

- إننـى مواطـن أمريكـى ياسيدى ، وكـان بمقدورى أن أجرى اتصالاً بسيطًا مع سفارتى فى ( أنقرة ) منذ أودعتمونى هنـا ، لكنـى أردت تسوية الأمر وديًا حتـى لايتطـور إلـى أزمـة دبلوماسية عويصة بيـن البلدين ، قد يتم حلها فـى النهايـة عن طريـق الإطاحـة بكبش فـداء ، ليس له فى العير ولا فى النفير !

فهم الحاضرون جميعًا تلميحه ، فأشار الضابط لرجاله الثلاثة من خلفه بمغادرة الغرفة وامتثلوا علـى الفـور للأمـر مقدريـن حـرج الموقـف ، واستدار الضابط مجددًا إلى ( عمر ) ، ليقول فـى آخر المطاف متحليًا بحكمة إيثار السلامة :



- حسنًا ، قـد أستطيع مسـاعدتك يامسـتر ( والاس ) !

ولم تمض ساعة من الزمن حتى كان الثلاثـة وأمامهم ضابط الأمن يغـادرون الغرفـة معززين مكرمين ، وقد استطاع د. ( رشدى ) أن يستعيد قدرتـه علـى المشـى لكنـه مـازال يتعلق بكتـف ( عمر ) ، وبمجرد خروجهم قال الضابط :

- نتمنى ألا نكون قد أخرناكم كثيرًا ياسـادة ، لكن نظـام الأمـن لـه قواعـده الصارمـة .. ثـم استأذن منهم مغادرًا مكان وقوفهم ، بينمـا قـالت د. ( ناديا ) فى جمودها المعتاد :

- مازال هناك وقت طويل حتى تقلع الطـائرة القادمة إلى ( جورجيا ) فى السابعة صباحًا ..

قال ( عمر ) وهو ينظر للدكتور المحتمل على كتفه بذراعه :

ـ يجب أن نعثر الآن على مكان يستريح فيه د. (إدموند) !

هتف د. (رشدى) مجاهدًا :

ـ لا عليك ، سأكون بخير يا فتى ..

والتفت إلى د. (ناديا) مغمغمًا فى امتنان :

ـ شكرًا لك يا ابنتى ، لقد أنقذت حياتى !

حيّته بإيماءة من رأسها ، ولم يلمح أى منهم ذلك الرجل الواقف بعيدًا فى طابور ممتد أمام نافذة جوازات المغادرين على طائرة (موسكو) ..

رجل مفتول العضلات ، أشقر الشعر طويله ، يملك لحية دائرية ذهبية حول فمه المتدلى منه سيجار (هافانا) فاخر ، وينظر إليهم عبر عدسات منظاره الشمسى المعتم ..

* * *



نظر (إبراهيم جولدنسكى) فى ساعة معصمه التى أضاء لونها الفوسفورى مشيرًا إلى التاسعة والنصف ليلاً ، وثبت فوق رأسه الحليق القبعة المستديرة المصنوعة من الصوف ، ثم نهض شاخصًا ببصره نحو الطريق الأسفلتى الممتد الغارق فى الظلمة عند سفح الهضبة العالية التى يقف فوقها ، بجوار طائرة مروحية صغيرة رابضة فى سكون ..

ولم تمض دقيقة حتى رأى أضواء سيارة تقترب من بعيد ، فأسرع يهبط القمة متخذًا طريقه فى خفة بين الصخور الناتئة والنباتات الشائكة ، وتوقفت السيارة فى النهاية على جانب الطريق وهمّ هو بالاقتراب منها راسمًا فوق شفتيه ابتسامة ترحيب واسعة ..

هبط (عمر زهران) من السيارة ومن الباب المقابل هبطت د. (ناديا) ، وسارع (عمر) بفتح

الباب الخلفى ليهبط د. (رشدى) الذى بدا وكأنه قد استعاد بعض لياقته، عندما وقف (إبراهيم) بجواره هاتفًا:

- فى موعدكم تمامًا يا سيدى ..

فهم (عمر) عبارته ضمنيًّا، فلم يكن قد أنهى دراسته للغة الروسية بعد، لكنه أومأ له برأسه فى شكر، وانطلق (إبراهيم) يقول مشيرًا للطائرة المروحية أعلى الهضبة:

- لقد استأجرت لكم هذه الطائرة من شركة شهيرة فى (تفليس)، لمدة ٤٨ ساعة كما أبرقتم لى، ويشرفنى أن أصحبكم إلى (جروزنى) بنفسى، لقد أوحشنى الأهل هناك للغاية!

مال (عمر) على أذن د. (رشدى) هامسًا:

- ماذا يقول ؟!

ترجم له د. (رشدى) ماقال الشاب باسمًا،



فالتفت إليه (عمر) قائلاً على قدر ماسمحت له معرفته بالروسية:

- شكرًا، أنت (إبراهيم جولدنسكى)، أليس كذلك ؟!

- بلى يا سادة، وقد أحضرت لكم ماطلبتموه منى بـ (الفاكس)، خريطة (جروزنى) كاملة بقراها الريفية المجاورة:

قالها (إبراهيم) مناولاً إياه ورقة كبيرة مطوية، وقام د. (رشدى) بترجمة ماقال فطلب (عمر) منه أن يسأله:

- هل أنت من (جروزنى) أصلاً يا (إبراهيم) ؟!

هز (إبراهيم) رأسه بالإيجاب وقال:

- أجل، من قرية بها تدعى (الحرية) لو ترجمناها من (الشيشانية) إلى (الروسية)!

سأله د. (رشدى) بطلب من (عمر):

ـ هل تعرف إذن ميدان (مينوتكا)؟!

هز (إبراهيم) رأسه مجددًا وأجاب:

ـ بالطبع، إنه أحد أكبر ميادين (جروزنى)..

أراد (إبراهيم) أن يستفهم عن مغزى السؤال، لكنه لم يفعل، إنه مجرد (نقطة آمنة) لرجال المكتب (١٧)، يخدمهم فى مقابل أجر مالى متفق عليه وليس من حقه السؤال أو الاستفهام عن أى شىء..

ـ هل تسمحون لى ياسادة بطرح سؤال واحد؟!

نطق بها (إبراهيم) فى حرج، وترجمها د. (رشدى) فطلب منه (عمر) أن يقول:

ـ هذا يتوقف على ماهيته يا عزيزى!

ـ لقد طلبتم الطائرة المروحية بلا ربان، من منكم إذن سيتولى قيادتها؟



أجابته د. (ناديا) ـ التى ظلت صامتة منذ هبوطها من السيارة ـ قبل أن يترجم د. (رشدى) مقولته:

ـ معنا مقاتل طيار لايشق له غبار، كان الأول على دفعته يوم تخرج من الكلية الجوية..

ترجم د. (رشدى) لـ (عمر) ماقيل، وفهم (إبراهيم) مقصدها من نظرتها الطويلة إلى (عمر) الذى بادلها النظر..

دون أن ينطق بحرف!

* * *

دقت الحادية عشرة تمامًا فى ساعة الحائط المعلقة ذات البندول المهتز، داخل غرفة الجنرال (ماكسيم موشكو) ـ قائد القوات الروسية فى (الشيشان) ـ الملحقة بمنشآت مطار (جروزنى) العسكرى الأول، والذى تربض فى ساحته طائرات

(ميج ٣١) و (ميج ٤٠) و (مى ٢٤) و (مى ٤٠) كأنها طيور رخ ضخمة نائمة ..

والجنرال (ماكسيم) بدين للغاية ، له كرش ضخم وبنية أكثر ضخامة ، ينسدل شعره الرمادى الناعم فوق جبهته دائمًا أسفل القبعة المدورة الكبيرة التى تقى رأسه زمهرير البرودة القارسة ، وملامحه ـ كديدن أغلب رجال الجيش فى كل أنحاء المعمورة ـ صارمة كحد السيف ..

وقف فى نافذته العريضة المطلة على ساحة الطائرات ـ فى زيه العسكرى الكاكى كاملاً ـ يراقب عمال المطار وهم يعكفون على صيانة وفحص آخر الطائرات العائدة من الطلعة الجوية الأخيرة على معاقل المقاتلين الشيشانيين فى جبال الجنوب ، شاعرًا بالرضا الكامل عن حصيلة اليوم من أعمال عسكرية ستضيف ـ لاشك ـ إلى سجل أمجاده لدى رؤسائه فى (موسكو) ..



كادت بسمة ضالة تهتدى لطريقها على وجهه الجامد ، عندما تناهى إلى مسامعه صوت طرقات على الباب خلفه ، فالتفت هاتفًا فى عظمة :

ـ ادخل فورًا ..

دخل جندى من جنوده ، هتف فى ثبات بعد أدائه لتحية قائده :

ـ لديك زائر يا جنرال ..

ـ زائر ؟! فى هذا الوقت ؟!

قالها (مكسيم) مقطبًا فى استنكار لامثيل له ، قبل أن يصيح بجنديه مقرعًا :

ـ ومنذ متى أستقبل زوارًا فى مثل هذه الساعة أيها الغبى ؟! إننى حتى لم أوصل خط هاتف إلى هنا لأبتعد عن كل مايمكن أن يزعجنى وقت راحتى ، هنا غرفتى الخاصة هل تفهم هذا ؟!

ـ الرقيب (ديمترى) أمرنى بالحضور إليك شخصيًا ياسيدى ، وأمرنى إبلاغك بأنه آت من عند (الإخوة) !

أصابت الكلمة الأخيرة هدفها مباشرة فى أعماق (ماكسيم) ، الذى انقلبت ملامحه من الغضب إلى التوتر فجأة ، وبلهجة لم تخل من رهبة سأل :

ـ هل استقبله (ديمترى) عند البوابة ؟

ـ أجل ، جنرال (ماكسيم) ، وأمرنى أيضًا أن أصحبه إلى هنا ، وأن أستأذنك شخصيًا قبل إدخاله عليك ، هل ستسمح له بالدخول ياسيدى ؟!

ـ هو يقف وراء باب غرفتى الآن إذن !

ـ أجل ، جنرال (ماكسيم) !

ـ أدخله إذن على الفور ..



أدى الجندى التحية ، وانصرف على الفور بعد هتافه :

ـ أمرك ياسيدى ..

وبعد لحظات ، دلف إلى الغرفة رجل مفتول العضلات ، أشقر الشعر واللحية القصيرة ، تختفى عيناه خلف منظار شمسى ذى عدسات معتمة ، و ...

ـ عمت مساء ، جنرال (موشكو) ..

قالها الرجل فى إنجليزية لامبالية ، فشد (مكسيم) قامته قائلاً بنفس اللغة :

ـ خيرًا أيها السيد ..

جلس الرجل ـ دون دعوة ـ على أقرب مقعد إليه ، قائلاً فى تلميح واضح :

ـ إننى أحمل لك تحيات الإخوة ، سيدى الجنرال ..



جلس الرجل - دون دعوة - على أقرب مقعد إليه ، قائلاً فى تلميح واضح :
إننى أحمل لك تحيات الإخوة ، سيدى الجنرال ..

- أعلم أنك آت من عندهم ، ماذا يريدون ؟! ولماذا يرسلون إلىّ مندوبًا هذه المرة بدلاً من وسائل الاتصال المعتادة فى كل مرة ؟! والسؤال الأهم هو ....

زفر (ماكسيم) فى حرارة لم تتناسب مع طقس الليلة البارد ، ثم تابع :

- كيف استطعت دخول (جروزنى) ياسيدى ؟!

وضع الرجل ساقًا فوق أخرى ، وأخرج سيجاره (الهافانا) الأثير من جيبه وهو يجيب :

- أنت تستخرج تصريحات كثيرة موقعة بإمضائك للإخوة ، أليس هذا صحيحًا ؟

- بلى ، لكننا اتفقنا ألاّ يتم الاتصال مباشرة أبدًا ، إنهم يدخلون سرًا لبيع السلاح لمقاتلى (الشيشان) ، ويدخلون علنًا باسم الصحافة وحقوق الإنسان ، لكن زيارة كهذه كفيلة بإثارة

الأقاويل عنى، وهم يعلمون ماذا تعنى الأقاويل حول رجل يشغل منصبًا حساسًا مثلى..

هتف بها الجنرال فى ثورة، فقال الرجل فى برود مشعلاً سيجاره:

ـ الضرورات تبيح المحظورات أيها الجنرال..

كتم (ماكسيم) مشاعره رغمًا عنه، إنه يعمل لصالح (الإخوة) سرًا منذ سنين طويلة، صحيح أنهم يكافئونه على خدماته لهم بمبالغ طائلة فى حسابه السويسرى، لكنهم يملكون بالتأكيد أدلة إدانة ضده تودى به إلى أعمق أعماق جحيم القانون الروسى الذى يمتزج فيه الجليد بالنار!

ليس أمامه إذن إلا أن يلجأ لمرونة السياسة بعيدًا عن شدة العسكرية..

ـ حسن، ما الأمر ؟!

ـ لقد وصلت للإخوة معلومات شبه مؤكدة



عن صفقة ماستتم هنا فى (جروزنى) صباح الغد..

قالها الرجل نافثًا دخان سيجاره فى استمتاع، فسأله (ماكسيم) زاعقًا:

ـ ماذا ؟! صفقة ؟! إن (جروزنى) منطقة حرب ياسيدى، وليست سوقًا تجارية أو بورصة أوراق مالية مثلاً!

ـ لاتنزعج إلى هذا الحد ياجنرال، إنها صفقة لبيع شحنة من مواد محظور الاتجار فيها علنًا، ستسلم فى ميدان (مينوتكا) مع بشائر فجر اليوم..

صمت الجنرال للحظة وقد أضحى صوت تنفسه المتسارع مسموعًا، وهتف فى النهاية بانزعاج بلغ بنبرته حدًا رهيبًا:

ـ كيف هذا ؟! إننا نحكم قبضتنا على كل

مداخل ومخارج المدينة حتى إننا نكاد نفتش كل بعوضة خوفًا من تعاونها مع المقاتلين ..

- لايدرون كيف ، لكنهم متأكدون أنه سيحدث ، كل ما هو مطلوب منك كمتعاون هو أن تكون واعيًا تمامًا لكل ما يجرى فى المدينة - الأطلال هذه - بالذات فى الدائرة المحيطة بميدان (مينوتكا ) ..

قال (ماكسيم ) وقد بدا كمرجل يغلى بالماء :

- إننا واعون بما فيه الكفاية ، تستطيع أن تنقل لهم هذا على لسانى ..

نهض الرجل نافثًا دخان سيجاره من جديد ، ثم قال بلهجة ذات مغزى :

- اعتبرها محض نصيحة من إخوة مخلصين .. للغاية ..

ضغط الرجل وشدد على حروف كلمته



الأخيرة ، فازدرد (ماكسيم ) ريقه بصوت مسموع ولم يستطع قول شىء وعندما نفث الرجل دخان سيجاره مرة أخرى رفع يده قائلاً بنفس اللهجة اللامبالية التى حيّا بها الجنرال فى البداية :

- كن حذرًا يا صديقى ، وعمت مساء ثانية ..

ثم إنه غادر الغرفة كلها ، تاركًا (ماكسيم ) كتمثال ممتلئ بلاحراك ، يحدق فى باب الغرفة المغلق كالأبلة ، حتى إنه لم يلحظ الضابط الشاب - الذى يحمل على كتفيه رتبة (رقيب ) - والذى طرق الباب أكثر من مرة قبل أن يدخل مناديًا ..

- جنرال (ماكسيم ) .. جنرال (ماكسيم ) !

- أهذا أنت يا (ديمترى ) ؟!

سأل (ماكسيم ) دون أن يتغير وضعه الثابت الذاهل ، فقال الشاب متعجبًا :

ـ أجل ياسيدى ، أنا الرقيب (ديمترى) ، ماذا كان يريد هذا الرجل الغريب الهيئة ؟!

بحركة حادة مفاجئة التفت (ماكسيم) إلى (ديمترى) ـ حتى إن الأخير فزع منها ـ وهتف كالمعاتيه :

ـ مشكلة يا (ديمترى) ، مشكلة عويصة ..

وحدق فى عينى (ديمترى) الزرقاوين طويلاً ، حتى قال :

ـ أبرق لزبائننا الآن على الفور ، سنبكر بميعاد التسليم ، ونغير مكانه !!!

★ ★ ★

ـ إنها رسالة ممن سيسلمنا البضاعة ..

قالها (عمر) محدقًا فى شاشة هاتفه المحمول الصغيرة التى حملت كلمات معدودة ، فسألت د. (ناديا) فى اهتمام :



ـ وكيف عرف رقم هاتفك ؟!

ـ لقد أرسلها على رقم هاتف الفقيد (إيهاب) ، وعن طريق نظام ارتجاع Feed back موصل بينى وبين المكتب (١٧) تم تحويل الرسالة إلىّ ، فكرة بسيطة لكنها تفى بالغرض ككل الأفكار البسيطة العبقرية ..

ـ وهل جد جديد ؟!

كان السائل هذه المرة هو د. (رشدى) الذى انهمك فى مراجعة خريطة (جروزنى) وفك طلاسم كلماتها الروسية ، فأجاب (عمر) وقد انهمك فى تفكير عميق :

ـ تغيير الموعد والمكان ..

نظر إليه د. (رشدى) سائلاً :

ـ أين ؟ ومتى ؟

ـ بدلاً من ميدان (مينوتكا) فى قلب العاصمة سيكون التسليم عند الجسر المحطم فوق مياه نهر (سونجا) شمالاً ، بجوار قصر الرئاسة السابق ، الساعة السادسة فجرًا ..

ثم نظر (عمر) فى ساعة معصمه متابعًا :

ـ أى بعد أقل من سبع ساعات !

أشار د. (رشدى) إلى نقطة ما فوق الخريطة المفرودة على فخذيه ، قائلاً :

ـ هنا تقريبًا ، لايوجد فوق النهر سوى جسر واحد حطمته الحرب !

ثم إنه التفت إلى (عمر) قائلاً فى ريبة :

ـ وهذا يعنى ...

أشاح (عمر) بيده الحرة ، بينما أمسكت الأخرى بمقود الطائرة المروحية التى سبحت فى



الظلام كعصفور يشق طريقه طائرًا بين السحاب ، وهتف فى ثبات حازم :

ـ هذا لايعنى شيئًا البتة ، الخطة ستبقى كما هى ..

وأخذ نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد وعيناه تتابعان شاشات التحكم والمراقبة الرادارية فوق المقود :

ـ حيث إن الأولوية لتأمينك وحمايتك يادكتور ، ستهبط مع (إبراهيم جولدنسكى) فوق النقطة المحددة سلفًا ، عن طريق المظلة ، بينما سأذهب أنا للقاء ذلك الشخص الغامض الذى سوف يسلمنا البضاعة ، وفى التوقيت المتفق عليه ستكون أنت و (إبراهيم) فى الانتظار عند النصب التذكارى لضحايا (الشيشان) فى الحرب مع الروس ، لآتيك أنا بالبضاعة فى موقعك

الآمن ـ تحسبًا لأى ظروف طارئة نجهلها ـ فتفحصها ، ونترك بعد ذلك مسألة المغادرة للمستجدات ، فمن يدرى من سيكون ذلك الرجل الغامض ؟ ومن يدرى ماذا ستحتم علينا الظروف أن نفعل وقتها ؟!

قال د. ( رشدى ) هازًا كتفيه فى استخفاف مشوب بالتوتر :

ـ لن أستبعد أن يكون هذا الرجل هو رئيس جمهورية (روسيا الاتحادية ) بنفسه ، إذ يملك من السلطات ما يجعلنا على اتصال دائم بمطار (جروزنى ) العسكرى حتى يكفل لنا دخولاً آمنًا !!!

سألت د. (ناديا ) الجالسة على المقعد الخلفى بجوار ( إبراهيم ) :

ـ ألهذا لم ندخل (جروزنى ) من الطرق



المشروعة برغم أننا نحمل تصاريح دخول صحيحة وغير مزورة ؟!

هز ( عمر ) رأسه بالإيجاب ثم قال :

ـ بالإضافة إلى أننا لا نملك من الوقت ما يكفى لتعقيدات الروتين الروسى ، عمومًا فالواضح أن هذا الرجل ذا قدر رفيع فى الجيش المعسكر فى ( الشيشان ) !

عادت د. ( ناديا ) تسأل :

ـ وماذا عنى أنا ؟! لقد أسقطتنى من حساباتك تمامًا وأنت تضع خطتك ..

ـ غير صحيح ، فسوف تصحبيننى للقاء ذلك الشخص المجهول الذى أتحدث عنه ..

سألته فى دهشة :

ـ ولِمَ ؟! لقد توقعت أن تأمرنى بمصاحبة الدكتور و ...

قاطعها فى بساطة زادت من دهشتها :

ـ هبى أن الرجل المزعوم لايتحدث إلا الروسية ، من سيكون وسيط الترجمة بينى وبينه وقتها ؟! إن لغتك الروسية ممتازة كما أرى !

ـ لاتنس أننى أرمنية الأصل !

ـ هيا ياسيدى ، استعد للهبوط الآن ..

قالها (إبراهيم) بالروسية للدكتور (رشدى) وهو ينهض من مقعده بجوار الدكتورة ، ويتناول مظلتين مطويتين خلفه ، فمال (عمر) نحو د. (رشدى) قائلاً :

ـ ستجد الهبوط المظلى متعة حقيقية يادكتور ..

شعر د. (رشدى) بخلاياه كلها ترتجف ، وطفق يتمتم بالآيات القرآنية تارة وبالشهادتين



والأدعية تارة أخرى و (إبراهيم) يساعده فى تثبيت المظلة فوق ظهره باسمًا ، محاولاً تهوين الأمر بعبارات روسية فهم (عمر) القليل منها كالعادة ..

ـ هذا أقل ارتفاع أستطيع الطيران عليه فى هذه المنطقة الجبلية الوعرة ..

هتفت د. (ناديا) فى وجل لم تستطع ملامحها الصلدة إخفاءه :

ـ حذار ، فالظلمة تحدق بنا من كل الجبهات ..

ـ مناظير الأشعة تحت الحمراء ونظام الطيار الآلى الذكى يؤديان واجبهما كما يجب لاتقلقى يا عزيزتى !

قالها (عمر) ثم ضغط زر فتح باب الطائرة ..

ـ هيا ، اقفز ..

ودون أن يعطى ( إبراهيم ) د. ( رشدى ) لحظة واحدة للتفكير ، أو النظر ، أو التراجع ، أمسك بيده جاذبًا إياه ليهويا معًا من حالق ..

ولتدوى صرخة د. ( رشدى ) الجازعة فى أنحاء المنطقة الجبلية الوعرة !

★ ★ ★



# ٥ ـ تفاوض ..

رن جرس الهاتف طويلاً فى غرفة نوم اللواء ( عفت ) ، حتى نهض الأخير من فراشه متثاقلاً ودفع السماعة ليقول بصوت آت من غياهب عالم النعاس اللذيذ :

ـ من ؟!

ـ لواء ( عفت ) ، آسف لإيقاظك فى هذه الساعة لكن الأمر خطير بحق ..

ـ عميد ( حرب ) ؟! ما الأمر ؟!

سأل اللواء ( عفت ) وقد انتبه ـ برغم النعاس الذى يطبق على حواسه ـ لنبرة التوتر التى يتحدث بها العميد ( منصور ) ، وألقى بنظرة سريعة على عقارب ساعته الفوسفورية التى أشارت للرابعة فجرًا متابعًا :

ـ لقد كنا معًا منذ أقل من ساعة ، ماذا حدث ؟!

خبرته الطويلة بالعميد (منصور) أكدت له أن فى الأمر حدث جلل ، هذا فقط ما قد يجعل الرجل يهاتفه فى وقت كهذا ، متوترًا هكذا ..

ـ الأمر يتعلق بعملية (العالِم الرابع) ياسيدى !

ـ لو كنت تقصد تغيير الموعد والمكان فقد علمت بهذا من مراجعتى لنظام الارتجاع قبل أن أخلد للنوم ..

ـ كلا .. كلا ، الأمر أخطر بمراحل ..

سأله اللواء (عفت) وقد بدأ التوتر يسرى من قلبه إلى حنجرته :

ـ ماذا هناك ، عميد (حرب) ؟!

ـ يبدو أننا قد تعرضنا لخدعة متقنة ياسيادة اللواء !



ـ خدعة ماذا ؟!

عاود اللواء (عفت) سؤاله وقد تضاعف توتره ألف مرة ، بينما أتاه صوت العميد (حرب) مضمخًا بالوجل :

ـ لو أن تصورى للموضوع صحيح ، فلا أقل من القول بأننا نواجه كارثة ، بكل ما تحمله الكلمة من معنى !

* * *

فتحت د. (ناديا) عينيها بغتة لتكتشف أنها نامت ما لا يقل عن الساعتين ، هذا ما أخبرتها به ساعة يدها المشيرة للسادسة إلا قليلاً ..

نظرت حولها بعينين غزاهما الاحمرار ، ولا بد أنها لامت نفسها قبل أن تنهض من مقعدها نحو باب الطائرة المروحية المفتوح

الذى لاحت خارجه أنوار الفجر الهادئة فى سماء (جروزنى) الرمادية ، وعندما توقفت بحذاء الباب داعبت نسمة ربيعية شاردة خصلات شعرها الأشقر المتناثرة ، وصافحت عيناها مشهدًا هو الروعة بنفسها إن كان لها أن تُلخَّصَ فى مشهد طبيعى واحد ..

الثلوج البيضاء ، تصافح الأعشاب وأوراق الشجر الخضراء ، ومن بعيد ينساب نهر (سونجا) بمياهه الزرقاء الرقراقة صانعًا مجراه بين الصخور .. الأبيض والأخضر والأزرق ألوان لاتجمعها الطبيعة إلا هنا فى (القوقاز) !

قفزت من باب الطائرة المرتفع بعد أن ملأت صدرها بالهواء وعينيها بالمشهد الأخاذ ، وأخذت تبحث فى صمت عن (عمر زهران) ، حتى رأته فى النهاية يقف بعيدًا فوق صخرة



تعترض مجرى النهر ، فاردًا ذراعيه للهواء ، مغلقًا عينيه كأنه يحلم ..

اقتربت منه محاولة ألا تصدر أى جلبة تنبئه باقترابها ، إلا أنها سمعته يقول ـ دون أن يفتح جفنيه ـ وقد أصبحت على مرمى خطوات منه :

ـ نمتِ قليلاً يا دكتورة !

عقدت حاجبيها فى ضيق وهى تقول :

ـ لقد غلبنى النعاس ، فلست معتادة على السهر الطويل مثلكم !

ـ أجل ، إن الليل هو حياة المقاتل ، وإن كان النهار ميدان قتاله !

عقدت ساعديها أمام صدرها سائلة :

ـ وماذا تفعل عندك ؟! تمارس تمرينات (اليوجا) الصباحية ؟!

فتح عينيه أخيرًا ، والتفت إليها ليقول باسمًا :

ـ شىء من هذا القبيل !!

ـ يا لغرابة أطواركم !

ـ من تقصدين ؟!

ـ أنتم .. المقاتلين ..

قفز من فوق الصخرة الواقف فوقها .. وعندما أصبح أمامها تمامًا قال بنفس الابتسامة :

ـ لقد كنت زوجة لواحد منا ، لاتنسى هذا ..

سألته وقد استعاد وجهها جموده القاسى :

ـ وهل هذا شىء ينسى ؟!

قال (عمر) فى عمق وقد اشتعلت عيناه بنيران ملتهبة :

ـ صدقينى يا سيدتى ، لن أترك دماءه الزكية



تضيع هدرًا ، إن ثأره ـ هو ود. (مهدى) ـ أمانة فى عنقى ، دين لابد من الوفاء به لهما ولبلدى ..

وعلت النيران فى عينيه أكثر حتى كادت تطاول عنان السماء السابعة ، وهو يضيف :

ـ أستطيع أن أعاهدك على هذا كما عاهدت نفسى !

أرادت أن ترد عليه لكنها أحجمت ، شىء ما فى نظراته عقد لسانها ، وجعلها ترمقه كالمسحورة المفتونة ، حتى ارتفع هدير طائرة مروحية تقترب من بعيد ..

التفت كلاهما نحو مصدر الهدير المفاجئ ، وعندها لمحا طائرة مروحية سوداء ضخمة تقترب من موقعهما فى سرعة ، فهتفت د. (ناديا) وهى تنظر فى ساعتها :

ـ إنه هو بالتأكيد ، الساعة تشير إلى السادسة تمامًا ..

بينما غمغم (عمر) محدقًا فى الطائرة المقتربة :

ـ (مى ـ ٤٠) ..

ـ ماذا تقول ؟!

أجابها مستطردًا :

ـ أحدث ما أنتجته (روسيا) من طائرات مروحية مقاتلة فى السنوات الأخيرة ، وهى هجومية مزودة بأربعة صواريخ مضادة للدبابات ، ومدفع آلى ، وآخر رشاش ، بالإضافة إلى قدرتها على الهجوم الليلى بأنظمة الملاحة الكهروضوئية وتقنية الرادار الملليمترى ونظام الرؤية الأمامية بالأشعة تحت الحمراء(*) ..

---

(*) حقائق ..



نظرت إليه د. (ناديا) قائلة فى دهشة :

ـ كأنك قدتها من قبل !

مط شفتيه قائلاً فى استهانة :

ـ فى أنظمة محاكاة تفاعلية فقط !

ثم إنه غمغم لنفسه بصوت لا يكاد يسمع :

ـ الواضح أن الرجل يملك سلطات أكبر بكثير مما نظن ..

عند هذا الحد كانت الطائرة المروحية (مى ـ ٤٠) قد أصبحت فوقهما تمامًا ، وقد أحدثت المروحة العلوية أثرها المعروف فى شكل عاصفة تطاير بفعلها شعر د. (ناديا) ، وتماوجت معها ملابس (عمر) إذ لم يكن يملك شعرًا صالحًا للتطاير !

وتدريجيًا ، أخذت الطائرة تهبط عموديًا أمامهما

حتى استقرت فوق الأرض العشبية تمامًا ، وسكنت مروحتها مع انفتاح بابها الكبير ، ليظهر خلفه الجنرال (ماكسيم موشكو) جالسًا بجسده البدين فوق مقعد خلفى وثير ، ويده تقبض على حقيبة من المعدن فضية اللون ..

وبرغم نجاحه فى إخفائها ، فقد كانت دهشة (عمر) لمرآه عارمة إلى أقصى حد ..

وكذلك د. (ناديا رحمانوف) !

* * *

أسفل الأشجار الباسقة المنتصبة حول سور عال ، توقفت السيارة (الجيب) المكشوفة التى يقودها (إبراهيم جولدنسكى) وبجواره د. (رشدى) وخلفه اثنان من رفاقه الملتحين ، أسرع بالاستدارة نحوهما بمجرد توقف السيارة ليتبادل



معهما عبارات باللغة الشيشانية التى لم يفهم منها د. (رشدى) حرفًا ، إلا أنها حملت بالتأكيد معانى (الانتشار) و (التوزع) و (المراقبة) إذ هبط الرجلان بعدها على الفور وقد تفرق كل منهما فى اتجاه ..

- لم أكن أتوقع أن تكون من المقاتلين يا (إبراهيم) !

قالها د. (رشدى) وقد غالب طوال الطريق دهشته ، فأجابه (إبراهيم) باسمًا فى حماسة ملتهبة :

- كل الشيشانيين مقاتلون من أقدم العصور يا دكتور ، لقد قال عنا شاعر روسى عاش فى القرن التاسع عشر يدعى (ميخائيل ليرمونتوف) - وللأسف لم ينل حظه من الشهرة كباقى الأفاقين الروس - إن الحرية عقيدتنا ، والحرب قانوننا ..

نظر د. ( رشدى ) حوله مبهورًا ، وتألقت عيناه وهو يقول :

- إننى متابع جيد لأخبار وأحداث ( الشيشان ) فى وسائل الإعلام ، لكنى لم أجرؤ على التحليق بخيالى بأن أدخلها يومًا ما !

ثم إنه التفت نحو ( إبراهيم ) مرادفًا :

- اليوم يبدو هادئًا للغاية ، أليس كذلك ؟!

- لاتجعل هذا الانطباع المبدئى يخدعك ، إنه السكون الذى يسبق العاصفة الهوجاء ، فما من يوم يمر فى (جروزنى) دون عمليات فدائية وتبادل للنيران بلا نهاية ..

وجم د. ( رشدى ) للحظات قبل أن يقول :

- أتمنى أن تنتهى هذه العملية قبل أن أصاب بأزمة قلبية حادة !



ابتسم ( إبراهيم ) وهو يتذكر هبوطهما بالمظلة ، وصرخة د. ( رشدى ) الحادة التى أيقظت سكان الجبل كلهم قبل أن ينجح فى جذب حبل فتحها بنفسه فى الوقت المناسب ، ولولا هذا لأضحى د. ( رشدى ) تاريخًا علميًا مشرفًا !

- ألا تريد أن تشاهد نصب (جروزنى) التذكارى يا دكتور ؟!

سأله ( إبراهيم ) فى محاولة لتبديد رهبته ، فقال د. ( رشدى ) فى خيبة أمل :

- يدى مصابة كما ترى ، ولن أقوى على تسلق سور عال كهذا ..

- ومن قال إن الدخول إليه يتطلب هذا ؟! هيا ، تعال معى ..

قالها ( إبراهيم ) هابطًا من السيارة ، فقال د. ( رشدى ) متوجسًا :

- لاتخبرنى أننا سندخل عبر البوابة الرئيسية ، محتمل أن نجد هناك قوات روسـ...

قاطعه (إبراهيم) جاذبًا إياه من مقعد السيارة :

- وهل أنا مجنون حتى أذهب إلى هناك بقدمى ؟! تعال معى ولا تخف ..

بخطوات خفيفة متسارعة سار د. (رشدى) خلفه ، وخلف شجرة ذات ساق خشبية ضخمة أشار (إبراهيم) إلى نقطة فى الجدار قائلاً :

- سندخل من هنا يادكتور ..

وعبر الثغرة الدائرية فى جدار السور التى أخفتها ساق الشجرة تمامًا أصبحا بالداخل ، ليرى د. (رشدى) تمثالاً منحوتًا من المعدن ليد تقبض على سيف ، وحول التمثال عشرات الشواهد لقبور متناثرة ومتقاربة ..



- هؤلاء يادكتور هم شهداؤنا الأبرار ، بعضهم من عهد تهجير (ستالين)[*] ، وبعضهم من حرب الاستقلال الأولى والثانية ، إنهم الرجال الأحرار الذين قدّسوا الحرية وماتوا فى سبيلها ..

مبهوتًا غمغم د. (رشدى) :

- أليس هذا قولاً لزعيمكم الراحل (جوهر دوداييف) ؟

هتف (إبراهيم) منزعجًا :

---

(*) (جوزيف فساريونفيتش ستالين) (١٨٧٩ - ١٩٥٣): سياسى وديكتاتور روسى ، انضم للحزب البلشفى (١٩٠٣) ، وانتخب عام (١٩٢٢) أمينًا عامًا للحزب الشيوعى ، وبعد موت (لينين) خلفه فى إدارة شئون البلاد مع (كامنيف) و (زينوفييف) ، وما إن جاء عام (١٩٣٨) حتى صار كل شىء فى (روسيا) فى قبضته الفولاذية ، وقد تمكن من أن يبتدع عن طريق أقواله وأفعاله مذهبًا للشيوعية يعرف بالمذهب الستالينى ..

- ( دوداييف ) لم يرحل ، هذه أكذوبة تروج لها الدعاية الروسية منذ سنين ، ونحن نجاريهم خوفًا من أن يكرروا فعلتهم الوضيعة فى اقتفاء أثره ، لكنه مازال حيًا فى كهف من كهوف جبال الجنوب ينتظر الفرصة للظهور والانقضاض ، إنه ( بورز ) والـ ( بورز ) لايُقتل بهذه السهولة أبدًا !

- إنه ماذا ؟!

- ( بورز ) ، المصطلح الشيشانى لكلمة ( ثعلب ) ، إن هذا الحيوان الداهية هو شعار دولتنا ، وتميمة الحرية والاستقلال فى قلوبنا !

قال د. ( رشدى ) وهو يقدم كلمة ويؤخر أخرى :

- لكن ... أعنى أن الوسائل الإعلامية ... قد ... لقد أذاعت أن ( دودابيف ) ...

قاطعه ( إبراهيم ) فى حسم :



- قلت لك إنه لم يمت يا دكتور ، صدقنى أو كذبنى ، هذا شأنك وحدك ..

أدرك د. ( رشدى ) أن الحوار بلا فائدة ، فعاود النظر إلى التمثال قائلاً :

- منظره معبر حقًا ..

التقط ( إبراهيم ) عصا خشبية من فوق الأرض ، وخف الخطا نحو التمثال ليقف بجواره تمامًا ، ثم إنه مد يده ليحاكى بالعصا التى يمسكها وضع التمثال وهو يهتف بحماس يزداد أواره اشتعالاً :

- هذا هو السيف الذى نشهره فى وجوه الغازين من أبناء الشمال يا دكتور ، أولئك الذين استباحوا دمنا وأرضنا ودمروا عاصمتنا وقرانا ، وفى النهاية يطلقون علينا إرهابيين ويسمون جهادنا حرب العصابات !

ثم إنه حدق فى عصاه الخشبية المنتصبة متابعًا دون أن تخفت حماسته :

ـ وهو السيف الذى سنجز به رءوسهم الواحد تلو الآخر ، ولو استمرت بنا الحرب إلى ما لانهاية !

وأنهى عبارته شاهقًا فى فزع عندما انكسرت عصاه الخشبية فجأة بفعل رصاصة مكتومة ، التفت بسرعة ـ وكذلك د. ( رشدى ) ـ نحو مصدرها ليشاهدا فى نفس اللحظة ذلك الرجل الواقف عند مدخل النصب التذكارى ، مشهرًا باتجاه ( إبراهيم ) مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت ..

رجل يرتدى منظارًا شمسيًا ذا عدسات معتمة ..

ـ رائع ، أتأكد بمرور الوقت أننى لم أفقد مهاراتى بعد !



غمغم بها الواقف فى خفوت حتى إنهما لم يسمعاه ، وهم ( إبراهيم ) بالهتاف سائلاً :

ـ من أنـ ...

وقبل أن يكتمل سؤاله ، اخترقت رصاصة صدره فسقط شاهقًا فى ألم بغير قدرة على الصراخ ، وسالت الدماء من قلبه لتلوث تمثال النصب التذكارى وشواهد القبور القريبة ، بينما اتسعت عينا د. ( رشدى ) ارتياعًا ـ حتى كادتا تقفزان من محجريهما ـ وهو ينقل بصره بين ( إبراهيم ) المحتضر والواقف عند المدخل مشهرًا سلاحه بابتسامة بغيضة باردة ، قائلاً فى شراسة :

ـ مرحبًا ، أيها ( العالم الرابع ) !

ثم أشعل سيجاره ( الهافانا ) الفاخر !

* * *



وقبل أن يكتمل سؤاله ، اخترقت رصاصة صدره فسقط شاهقًا فى ألم بغير قدرة على الصراخ ..

- جنرال (مكسيم موشكو) بنفسه ؟! يا لها من مفاجأة !

هتف بها (عمر) - فى ذهول نصفه حقيقى - بإنجليزية ذات لكنة أمريكية متقنة ، وهو يرمق الجنرال (ماكسيم) هابطًا من الطائرة المروحية الضخمة (مى ٤٠) وخلفه الرقيب (ديمترى) بعينيه الزرقاوين إذ كان هو قائد الطائرة كما بدا ..

- هل تعتقد هذا حقًّا يا فتى ؟!

سأله الجنرال فى صرامة قائد عسكرى ، فهز (عمر) رأسه متابعًا :

- هذا يفسر كل شىء تصاريح الدخول غير القابلة للتزوير والسماح لنا بالتحليق عبر الجبال فى أمان ، بل وعلى اتصال مستمر مع برج المتابعة فى مطار (جروزنى) العسكرى و ...

قاطعه (ماكسيم) فى ضجر :

- كفاك مهاترات لا طائل منها، لقد أتيت لاستلام ما تريد، وهو فى الحقيبة التى أحملها الآن، كل ما عليك القيام به هو التحويل الفورى للمبلغ المتفق عليه ...

قال (عمر) باسمًا :

- على رسلك يا سيدى، التفاوض بيننا لم ينته، بل قل لم يبدأ بعد ...

هتف (ماكسيم) مقطبًا حاجبيه فى غضب :

- تفاوض ؟! بشأن ماذا ؟! لقد تم الاتفاق على كل شىء وفحصتم العينة فى (برلين) بالفعل كما أبرق السمسار لى منذ أيام، هل تريدون إنقاص الثمن أم ماذا ؟!

أسرع (عمر) يجيب :



- كلا .. كلا .. الثمن سيبقى ثابتًا، والعينة تأكدنا من صحتها بالفعل بغض النظر عن كل العواقب المؤلمة، ولكن ماذا عن باقى البضاعة ؟!

تعالت نبرة (ماكسيم) وهو يهتف :

- ماذا عنها ؟!

- من يستطيع أن يجزم لى بكونها سليمة ؟ وما الذى يمنع من أن أجدها فى نهاية المطاف زئبقًا أو حتى مياهًا ملونة ؟!

واستدرك عندما لمح شرر الشر المستطير فى عينى (ماكسيم) :

- عذرًا، لا أقصد بهذا أية حساسيات شخصية، إنها أصول المعاملات التجارية لا أكثر !

مد (ماكسيم) يده بالحقيبة إليه قائلاً فى ثورة مكبوتة :

- ها هى ذى ، افحصها كما يحلو لك ..

- عذرًا مرة أخرى يا سيدى الجنرال ، لكننى لست المكلف بهذا !

تزايدت سرعة أنفاس (ماكسيم) ـ حتى حاكت خوار ثور مغتاظ ـ وهو يسأل :

- من إذن ؟!

أجاب (عمر) ببساطة :

- شخص آخر ينتظرنى هنا فى (جروزنى) ، على مسافة قريبة من موقعنا هذا ..

- وتريدنا أن نذهب جميعًا إليه ؟!

- أنا فقط ، ولترسل معى ضابطك لو أحببت ..

هتف (ماكسيم) من خلال أنفاسه اللاهثة :

- لم يكن هذا ضمن الاتفاق يا صاح ..



- أخبرتك أن التفاوض لم يكن قد انتهى بعد ..

- وماذا لو قلت لا ؟!

تنهد (عمر) ، ثم أجاب بنبرة حسرة وهو يهز كتفيه :

- يؤسفنى وقتها أن تخسر الصفقة ، وربما عدة أشياء أخرى عظيمة الأهمية !

لم تعجب نبرة (عمر) (ماكسيم) أبدًا ، خاصة وهو يلفظ كلماته الأخيرة ، فهتف به وقد احمر وجهه ربما بفعل (الأدرينالين) :

- هل تهددنى أيها الغر التافه ؟! لا تنس أنك هنا فى نطاق سلطاتى حيث أستطيع سحقك سحقًا لو أردت ، أقل ما أستطيعه هو إصدار أمر باعتقالك وتعذيبك حتى النفس الأخير !

وكسى لهجته بمغزى ما وهو يتابع ناظرًا إلى د. (ناديا) :

- أنت ورفيقتك الحسناء هذه ..

تأتأ (عمر) فى هدوء مستفز قبل أن يقول :

- التهور فى القول أو الفعل هو الخطر بعينه فى ظروف دقيقة كهذه ياسيدى الجنرال ، إنك متورط فى الأمر بشدة ، ألست محقًّا ؟!

ألجمت ثقة (عمر) لسان (ماكسيم) فطفق يفكر صامتًا هنيهة ، قبل أن يزفر فى تسليم قائلاً :

- ليكن ، سيذهب (ديمترى) لإحضار رجلك من هناك ...

هم (عمر) بقول شىء ، فأسكته (ماكسيم) على الفور بقوله فى حزم :

- هذا هو القول الفصل ..

- لاداعى للعناء ياسادة ، فلن تجدوه هناك أبدًا ..



التفت الأربعة الواقفون -وقد أخذتهم المفاجأة- نحو مصدر الصوت ، لتقع العيون على الرجل ذى المنظار الشمسى وسيجار (الهافانا) الذى برز من خلف شجيرة خضراء قريبة ، لاتبعد عنهم سوى عدة أمتار ..

- من الأفضل ألا يتحرك أى منكم ، وإلا كانت نهايته المحتومة ..

ولم يكن فى حاجة لقولها ، فقد كان المسدسان اللذان يشهرهما فى الوجوه الأربعة يتحدثان بطريقة أفضل ..

وأبلغ !

* * *

# ٦ ـ مواجهــة ..

ـ أنت ؟!

هتف بها الجنرال (ماكسيم) فى ذهول تناسب مع اتساع عينيه وسقوط فكيه ، بينما اقترب منه الرجل فى هدوء قائلاً بنبرة قاسية :

ـ كانت تمثيلية بارعة حقًا يا عزيزى ، تستحق عنها (أوسكار) لو كانوا يوزعونه هنا فى جليد (روسيا) !

ـ كيف عرفت ؟!

سأل (ماكسيم) والخوف يتعلق بأحباله الصوتية ، ثم استدار إلى (عمر) مواصلاً :

ـ هل ...

قاطعه الرجل المتشح بأردية الغموض :



ـ عميلك لم يشِ بك ، إنه حتى يجهل سر علاقتك القديمة بالإخوة ، هذا لو كان يعرف من هم الإخوة فى الأصل !

ثم إنه توقف على بعد مترين أو أقل من الجنرال ، وتابع :

ـ عذرًا يا سيدى الجنرال ، لكنهم لا يغفرون لمن يخدعهم قط ، وقد كلفونى بنقل تحياتهم لك هذه المرة بطريقة مختلفة للغاية ..

ازدرد (ماكسيم) ريقه فى هلع ، وهم بقول شىء ما ، لكن الرجل عاجله برصاصة سريعة فى منتصف جبهته سقط على إثرها الأول مضرجًا فى دمائه على الأرض الخضراء كبرميل من الدهون ، وعلى مقربة منه استكانت الحقيبة المعدنية الفضية التى كان يمسكها ..

ـ عذرًا مرة أخرى يا سيدى الجنرال .. سابقًا !

غمغم ( عمر ) فى جمود وهو يرمق الفوهة المنبعث منها دخان البارود المشتعل ، والفوهة الأخرى المصوبة نحوه ود. ( ناديا ) :

ـ (K123) ، أعشق هذا النوع من المسدسات ..

ـ انبطح أرضًا .. انبطح .. هيًّا ..

هتف بها الرجل مرارًا فى وجه ( ديمترى ) الصامت كبركان على وشك الانفجار ، حتى امتثل الأخير فى النهاية صاغرًا ، و ( عمر ) يواصل غمغمته :

ـ بقدر مقتى لإزهاق الأرواح بلا مبرر !

التفت نحوه الرجل برقبته قائلاً فى سخرية لها ما يبررها :

ـ أنت إذن كأبطال روايات الحركة المغاوير ، تمقت الدم والعنف برغم غرقك فيهما حتى أذنيك يا عزيزى المقاتل المصرى الهمام !



سأله ( عمر ) دون انفعالات مرتسمة فوق وجهه :

ـ أنتَ ( ديفيد جوردون ) ، أليس كذلك ؟!

ـ لى الشرف أن أكون هو أيها النقيب ( عمر زهران ) ..

قالها ( ديفيد ) باسمًا من موقع القوة الذى يشغله ، فسأله ( عمر ) من جديد :

ـ وأنت من قتلت المقدم ( إيهاب ) ود. ( مهدى ) فى انفجار ( برلين ) ؟!

ـ تلك مهنتى التى أحصل منها على كفاف يومى ، إننى مرتزق ، أى قاتل أجير ، ولا أجيد غير هذا العمل منذ تقاعدت يا عزيزى ..

قال ( عمر ) فى محاولة منه لأن يكون ــ أو يتظاهر بكونه ـ عمليًّا :

ـ دعنى إذن أعقد الصفقة معك أنت ، ستمنحنى حقيبة الشحنة هذه وتقبض ثمنها كاملاً من الجنرال المقتول ..

اتسعت ابتسامة (ديفيد) الصفراء وهو يقول :

ـ آسف بشدة يا صديقى المصرى ، فإحدى المهام الموكلة إلىّ تقضى بالعودة بها إلى مستأجرىّ ، وليس من تقاليد المرتزقة خيانة العملاء أبدًا ، فهذا يفقد المرتزق الشريف أهم بنود شرف المهنة !

ثم إنه تابع وقد بدا متلذذًا بما ينطق :

ـ لأعرض عليك أنا صفقة أخرى أكثر ربحًا لك ، فبعد أن شاهدت مهاراتك الرائعة فى مطار (إسطنبول) والتى كدت بها أن تلحقنى داخل المصعد ، حتى غادرته أنا عبر فتحة السقف المركزية لأتنكر بعدها فى هيئتى هذه ، لا أملك



إلا أن أعترف بصلاحيتك لمشروع مرتزق من الطراز الأول !

حدق فيه (عمر) منتظرًا أن يجود بكل ما فى جعبته ، فتابع من جديد :

ـ ستحصل على أضعاف راتبك من المكتب (١٧) ، وستغدو ذا شأن وهيبة بين الأخيار والأشرار على حد سواء ، الأهم من هذا أنه لن يتم الاستغناء عنك أبدًا ما دمت صالحًا للعمل والاستمرار ..

سأله (عمر) بابتسامة جانبية ساخرة :

ـ وهل تتوقع أن أوافقك ، عزيزى (ديفيد) ؟!

مطّ (ديفيد) شفتيه ممتعضًا وهو يجيب :

ـ كلا ، لم أتوقعه للحظة ، وما دام الأمر كذلك فستلحق بالباقين ، (إيهاب) ود. (مهدى) و (ماكسيم) و ...

صمت هنيهة قبل أن يضيف :

- ود. ( رشدى ) ؟

سأله ( عمر ) بلهجة تأججت بلهيب الغضب والانزعاج :

- هل قتلته ؟!

هز ( ديفيد ) كتفيه مجيبًا :

- ليس بعد ، لكنها مسألة وقت فحسب ..

واستطرد مفسرًا وهو يشير بيده اليسرى القابضة على المسدس نحو أطلال قصر الرئاسة القريب نسبيًا :

- إنه يقبع الآن داخل سيارة صغيرة تربض خلف أطلال هذا المبنى فاقدًا لوعيه بفعل مخدر قوى ، وبعد أقل من عشر دقائق ستنفجر به السيارة الملغومة بقنبلة زمنية مضبوطة بالثانية ،



ولن يثير الانفجار ها هنا زوبعة الذعر والهلع الجماعى المعتادة ، هذه ميزة أن تعمل فى مكان ملىء بالقلاقل والاضطرابات كـ ( جروزنى ) ..

حدق ( عمر ) فى وجهه بعينين استحالتا إلى بؤرتين من الجحيم ، ولم ينطق بكلمة فتابع ( ديفيد ) مناجاته لنفسه :

- يا إلهى ! لقد كنت أجيد صنع هذه القنابل الموقوتة جيدًا ، لكنى ما زلت تواقًا للتجديد عاشقًا للابتكار ، لذا لن أقتلك بنفس الطريقة يا عزيزى ..

عقد ( عمر ) ذراعيه أمام صدره سائلاً فى سخرية :

- هل ستقتلنى إذن على طريقة ( فيثاغورس ) ؟!

- ليكن ما دمت تحمل روحًا مرحة هكذا ، فرصاصة فى الرأس ستكون مريحة وسريعة للغاية !

قالها (ديفيد) مصوبًا مسدسه الآخر نحو رأس (عمر) بالفعل، قبل أن ...

- اتركنى أتولى أنا هذه المهمة، عزيزى (ديفيد)..

قبل أن تنطق د. (ناديا) بهذه العبارة، متوجهة إلى جوار (ديفيد)، لتستل مسدسًا من بين ملابسها، وتصوبه - هى الأخرى - إلى رأس (عمر) !!!

* * *

- هل تأكدت من الأمر جيدًا، عميد (حرب) ؟!

سأل اللواء (عفت) فى لهفة بلا حدود، وهو يقف إلى جوار العميد (منصور) فى قسم (الشبكة الدولية) بالمكتب (١٧)، متابعًا بعينيه الشاشات الكثيرة التى تعرض مواقع متفرقة من



شبكة (إنترنت)، فأجابه العميد (حرب) وقد شعر بالتوتر ينهش قلبه نهشًا :

- تمام التأكد، لواء (عفت)، لقد قضيت الليلة بأكملها هنا فى القسم أتابع أولاً فأولاً آخر الأنباء وأبحث - كأن شعورًا غامضًا مبهمًا يعترينى - عن حقيقة د. (ناديا رحمانوف) التى اقتحمت العملية فجأة دون سابق إنذار، وكانت النتيجة هى ما تراه بنفسك يا سيدى ..

ثم ازدرد لعابه مستطردًا :

- المحصلة هى أن د. (ناديا) كانت فى مهمة بإحدى قرى جبال (الألب) لمدة أسبوع، وهو ما جعلها مختفية عنا تمامًا مدة إبراقنا لها بخبر وفاة زوجها، ثم اختفت بغتة من حملة أطباء (الألب) التابعة للأمم المتحدة وظهرت فى (اسطنبول) بإرسالها بريدًا صوتيًا كان بمثابة

طعم ابتلعناه بكل سرور وجعلنا (عمر) يبتلعه هو الآخر، ولم ننتبه تمامًا لموقع شرطة (الألب) السويسرية التى نشرت صورة لجثة امرأة مجهولة الهوية، تم اليوم فقط اكتشاف هويتها وإعلان كونها المرحومة د. (ناديا رحمانوف)!

تمعن اللواء (عفت) فى الصورة الإلكترونية لجثة الدكتورة متمتمًا:

ـ لقد قتلها (ديفيد جوردون) إذن قبل تنفيذه الجزء الثانى من مهمته..

ـ هذا هو القسم اليسير على الإدراك والبداهة، المعقد فى الأمر برمته هو قدرة المرأة ـ التى تعمل لحسابه دون شك ـ على انتحال شخصية د. (ناديا) بهذه البراعة حتى تطابقها شكلاً ـ وهذا يسير ـ وصوتًا وهو عصىّ على التصديق بالفعل..



ـ ربما كانت موهوبة فى تقليد الأصوات أو ...

ـ مهما بلغت موهبتها يا سيدى فستصل نسبة التطابق بين نبرتها وبين بصمة د. (ناديا) الصوتية الأصلية إلى ٩٠ ٪ على الأكثر، وباستخدام أكثر أجهزة تكنولوجيا الصوتيات تعقيدًا ستصل النسبة إلى ٩٦,٥ ٪، أما ١٠٠ ٪ ...

ـ وهل أبلغتم النقيب (عمر زهران) بهذا الأمر ؟!

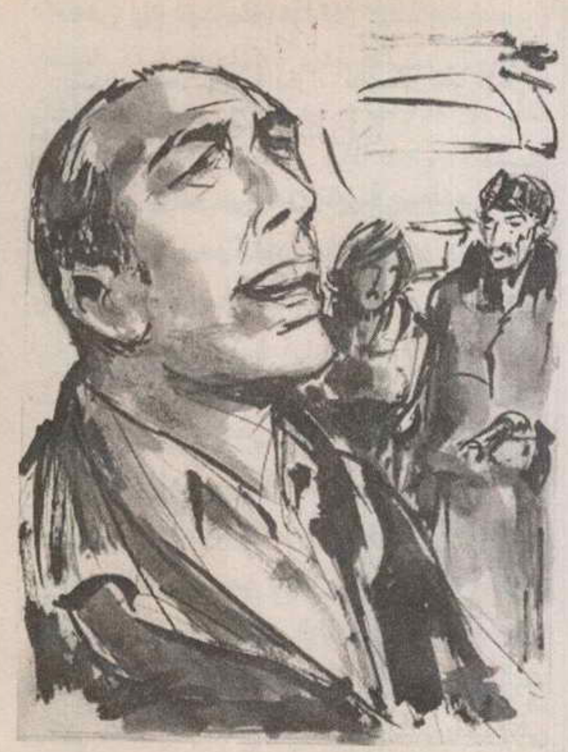
أشار العميد (منصور) إلى ساعة حائط معلقة على جدار قريب، وقال:

ـ إنها الرابعة والنصف يا سيدى، أى حوالى السادسة والنصف هناك الآن ...

ثم ملأ صدره بهواء الغرفة، مضيفًا فى قنوط:

ـ أعتقد أن الأوان قد فات يا سيدى اللواء !

* * *



لم يتوقع ( ديفيد ) أبدا ، ولا د . ( ناديا ) المزيفة توقعت ، أن يكون رد فعل ( عمر زهران ) عبارة عن ضحكة مجلجلة . . .

لم يتوقع (ديفيد) أبدًا ، ولاد. (ناديا) المزيفة توقعت ، أن يكون رد فعل (عمر زهران) عبارة عن ضحكة مجلجلة حملت أطنانًا من معان شتى !

ـ أخيرًا تكلمت يا دكتورة ، كنت أنتظر هذا منذ البداية !!

عقدت المرأة حاجبيها قائلة فى شك بائن :

ـ لا تحاول خداعى أيها الـ ...

قاطعها (عمر) بضحكة أخرى قصيرة ثم بقوله :

ـ أن تحبين أن أناديك بدون ألقاب علمية لاوجود لها ؟! ولعلك تحبين أن نتعامل بلا تحفظات فأناديك باسمك الحقيقى ، (سندى جونز) مثلاً !

سأله (ديفيد) وقد بدأ القلق يغزو نبرته الهادئة على الدوام :

ـ من أين أتيت بكل هذا ؟!

ضحك (عمر) مرة أخرى ليستفزهما أكثر، ثم قال مغالبًا قهقهته المستمرة:

ـ نقطة قوتكم هى عين نقطة ضعفكم، إنها (التكنولوجيا) مرة أخرى يا عزيزى (ديفيد) وعزيزتى (سندى)!

واستطرد مخاطبًا المرأة:

ـ لقد شعرت ببذرة الشك تنغرس فى تربة قلبى فور ظهورك الغريب غير المفسر فى مسرح الأحداث بمطار (اسطنبول)، بدا الأمر عندها ملفقًا إلى حد يفوق الصدفة، يطاردنى (ديفيد جوردون) عبر الطوابق الثلاثة، ليبعد أنظارى عن د. (رشدى)، وفى نفس الوقت يظهر معتد آخر على الدكتور، ويكاد ينجح فى



مسعاه بالفعل لولا إنقاذ د. (ناديا) له فى اللحظات الأخيرة، مشاهد جديرة بفيلم حركة رخيص أكثر من جدارتها بواقع لا يعترف كثيرًا بقانون الصدفة، وكاد الأمر يقتعنى بالفعل مع أدائك المؤثر لشخصية الأرملة المطعونة فى ظهرها، حتى أخطأتِ خطأ بسيطًا جعل الشك ينمو كشجرة لبلاب فى داخلى، هو ذكرك لكونى الأول على دفعتى بالكلية الجوية، وهى معلومة خاطئة منشورة فى موقع تضليلى على شبكة المكتب (١٧) لهواة القرصنة والاختراق، يتم فيه تسجيل أرقام الـ (IP) الخاصة بكل مخترق لمعرفة هويته، وعندما أخطأتِ الخطأ الثانى يا سيدتى بالنوم قبل أن نهبط لمدة ساعتين، كان الوقت سانحًا أمامى للتجوال عبر الشبكة، ومعرفة رقم الـ (IP) الذى اخترقتِ من خلاله موقع المكتب (١٧) الوهمى، ومعرفة أنه خاص

بسيدة جليلة تشغل مكانة مرموقة فى معهد (ماسوشيتس) لأغراض البحث العلمى، تدعى (سندى جونز)، حاصلة على إجازة لمدة أسبوع ..

نقل (عمر) بصره بينهما وهو يلتقط أنفاسه قبل أن يعاود الاستطراد :

- ولأن المعلومات كأمواج البحر يلاحق بعضها بعضًا، فقد لفت نظرى عملك فى قسم (أبحاث الحواس)، وقرأت تلخيصات لأبحاث يجريها العاملون فى المركز لإنتاج شريحة إلكتروبيولوجية Biochip تلتصق هستولوجيًا بأنسجة لهاة الحلق بعد ضبطها على تردد معين لصوت الإنسان، والتطابق الناتج يبلغ حد الكمال بنسبة قد تتجاوز ١٠٠ ٪! هذا ماجعلك تستطيعين خداعهم فى (القاهرة) برسالة البريد الصوتى المزيفة، وهو ماتستحقين عليه التهنئة بشدة يا عزيزتى ..



ثم اتسعت بسمته الظافرة وهو يقول متابعًا :

- ولأن الساعتين وقت طويل بحق، فقد كان هناك متسع من الوقت لطرح المزيد من الأسئلة ولسد المزيد من الثغرات، فاتبعت المقولة الفرنسية الشهيرة الخاصة بالبحث عن المرأة، وراجعت ملف (ديفيد جوردون) الكامل فى موقع شبكة (مكتب التحقيقات الفيدرالية)، بالذات نقطة علاقاته النسائية، وعلمت بأمر العلاقة العاطفية القديمة والوطيدة التى كانت تربطه يومًا بامرأة تحمل اسم (سندى) فقط، وهكذا بدا الربط منطقيًا للغاية، خاصة لو أضفنا للأمر اختفاء (ديفيد) تمامًا بعد عمليته الأخيرة لحساب المكتب الفيدرالى، إثر انفجار قنبلة لم ينجح فى إبطال مفعولها فى الوقت المناسب، وكذلك ..

صمت (عمر) فجأة، ووجه حديثه لـ (ديفيد) قائلاً:

- لاحظت كذلك أيضًا، عزيزى (ديفيد) أن كل الصور المأخوذة لك - بعد احترافك القتل المأجور - كانت بهذا المنظار الشمسى المعتم الذى ترتديه طوال الوقت، ليلاً ونهارًا، وبقليل من التفكير زائد قليل من المعلومات عرفت الحقيقة، إنه عيناك اللتانِ ترى بهما يا عزيزى، وبدونهما أنت أعمى تمامًا!

اسودّ وجه (ديفيد) بينما واصل (عمر) إفراغ ما فى كنانته:

- هذه الحقيقة بلارتوش يا صديقى، لقد فقدت بصرك فى الانفجار الأخير، وكان عليك أن تواجه مرارة العيش كمكفوف فاقد للبصر والوظيفة المرموقة، وبإحساس الشفقة على



شخص حاصل على المركز الأول لثلاثة أعوام متتالية فى مسابقة (فلوريدا) للرماية، وهنا مدت إليك حبيبتك يد العون عندما اقترفت جريمتها الأولى بسرقة نموذج لمشروع (المنظار المبصر) صممه زميل لها فى المعهد، ويعتمد على تحويل ما تستقبله العدسات الصغيرة المثبتة فى الذراعين من صور إلى إلكترونات تسرى فى عصب العين الحى، وتنتقل الإشارات العصبية من خلال عبور تدفقات (الصوديوم) و (البوتاسيوم) المعتادة عبر غشاء الخلية العصبية حتى تنطبع الصورة فى مركز الإبصار بالمخ، نجح المشروع لكنه ظل فى حيز جدال العلماء حول مدى خطورته وأخلاقيات التجارة فى عاهات البشر، لكنه نجح نجاحًا باهرًا معك يا عزيزى (ديفيد)، ولما لم يكن هذا ليقتنع رجال المكتب الفيدرالى بإعادتك، بل وربما عدوه

دليل إدانة ضد (سندى) ، فقد تحولت من خدمة العدالة إلى خدمة الجريمة تحولاً كاملاً وشاملاً من النقيض إلى النقيض !

دمدم (ديفيد) فى غضب هادر :

ـ لقد عرفت أكثر مما ينبغى أيها الفتى ..

وأكملت (سندى) :

ـ ومعنى هذا أنك هالك لا محالة ..

صفق (عمر) فى استحسان مصطنع وهو يهتف :

ـ رائع ، بديع ، مذهل .. منتهى الرومانسية والتآلف والتفاهم ، وخطة عبقرية وضعتماها بدهاء الثعالب ومكر الذئاب ونفذتماها كأفضل ما يمكن ، استطاعت (سندى) أن تبلغك بكل شىء فى الوقت المثالى ، موقع د. (رشدى)



وتورط الجنرال (ماكسيم) لتكون حيث يجب أن تكون وقتما يجب أن تكون ، وهأنتما تتعازمان من يطلق علىَّ النار !

ضغطت (سندى) زناد مسدسها بالفعل وهى تقول فى غيظ :

ـ أنت لى أيها الرجل ..

ضحك (عمر) فى سخرية متزايدة إثر التكة المعدنية الصادرة من مسدسها ، وقال من بين ارتجاجه بالضحك :

ـ آسف يا عزيزتى ، كان بودى أن أمنحك هذا الشرف ، لكن خزينة رصاصاتك تستقر حاليًا فى أعماق نهر (سونجا) ، لابد أن الأسماك تسأل نفسها عن ماهية هذه الأجسام الصغيرة الغريبة الآن !

ـ حسن ايها المصرى اللعين ..

قالها (ديفيد) مصوبًا مسدسيه نحو (عمر)، ثم أكمل فى رصانته الغاضبة :

ـ هيا ، قل وداعًا للحياة يا صديقى ..

وضغط سبابتاه زنادى المسدسين فى نفس الآن ، لكن (عمر) تحرك بصورة أسرع فقفز ناحيته دافعًا (سندى) بذراعه جانبًا ، لتسقط بعيدًا وهى تصدر صيحة مكتومة ، ثم واصل انقضاضه على (ديفيد) فى بسالة رافعًا يديه القابضتين على المسدسين للأعلى ، فانطلقت رصاصتان طاشتا فى الهواء عاليًا ، و (عمر) يهوى به أرضًا ساقطًا فوقه ، وسقط أحد المسدسين بعيدًا ، بينما ظل الآخر فى يده التى يقبض على رسغها (عمر) ..



وكان حتميًا أن يشتبكا ، وينقلبا بالتبادل فوق الأرض العشبية الثلجية نحو مجرى النهر ، وقد علت زمجرتهما واحتدم القتال بينهما بمزيد من اللكمات والرصاصات الطائشة من فوهة المسدس ، حتى ..

حتى سقط منظار (ديفيد) إثر لكمة ساحقة فى فكه ، وبهت (عمر) ناظرًا إلى محجريهما المغلقين بندبتين كبيرتين ، كأنهما لم تكونا تحويان عينين أبدًا ، أو كأن كرتى العين قد سقطتا منها بلا مبالغات أدبية أو استعارية ؟!

ـ يا إلهى !

هتف بها (عمر) مشدوهًا ، فعلَتْ زمجرة (ديفيد) الشرسة وهو يقول :

ـ سأقتلك أيها اللعين ، سأبيدك من على ظهر البسيطة ولو كان هذا آخر ما أفعله فى عمرى ..

وأتبع قوله بالفعل السريع قافزًا فى اتجاه (عمر) الذى كان مقعيًا فوقه ، غير أن (عمر) ـ بحركة بارعة سريعة ـ تنحى عن طريقه جاعلاً قفزه فى اتجاه الهواء ، فما كان من (ديفيد) إلا أن سقط على وجهه وقد علت زمجرته مع إحساسه العميق بالهزيمة ، وإحساسه الأعمق بالعجز !

ووقف (عمر) يرمقه بمزيج من المشاعر المتناقضة التى تضاربت فى أعماقه ، وقال بلهجة عكست هذا التناقض المتضارب :

ـ ليس من شيمنا الشماتة يا عزيزى (ديفيد) ، لكن مقولتى بشأن التكنولوجيا وإيمانى بكونها مصدر قوتكم ونقطة ضعفكم فى نفس الوقت تثبت صحتها مرة أخرى ، وليس فيما أقول شبهة شماتة من أى نوع !



ـ أعد إليه عينيه فى الحال ، نقيب (عمر) !

سمعها (عمر) تأتى من خلفه بصوت (سندى) المحاكى لنبرات د. (ناديا) ، فهمَّ بالالتفات إليها مستديرًا على عقبيه ليسمعها تتابع فى صرامة :

ـ إياك والإتيان بأى حركة مباغتة ، إن سبابتى تضغط زناد المسدس نصف ضغطة بالفعل ..

ثم إنها أضافت :

ـ وقد تأكدت هذه المرة من امتلائه بالرصاصات !

التفت (عمر) نحوها رافعًا ذراعيه فى بطء وهو يقول باسمًا :

ـ لا تخافى يا سيدتى الجميلة ، كل ما أريد قوله هو أن قتلى لن يمنع عنكم أى خطر تودون اتقاءه !

سألته فى حذر خوفًا من أن يقودها إلى شرك :

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ أنتما تريدان قتلى حتى لا أفضح ستركما ، ولم تمنحانى الفرصة لأخبركما أننى قد فعلت هذا وانتهى الأمر !

كان (ديفيد) قد نهض من خلفه ليبدو أشبه بمسخ بلا عينين ، ووجمت (سندى) تمامًا بينما استطرد (عمر) مقتربًا منها خطوة لم تلحظها :

ـ لقد صغت ملفًا حاسوبيًا أنيقًا يحوى الحقيقة كلها ، وأرسلته عبر القائمة البريدية(*) الخاصة

---

(*) القائمة البريدية Mailing List : خدمة تقدمها مزودات (إنترنت) خاصة ، عبارة عن توزيع رسالة البريد الإلكترونى الواحدة على عناوين كثيرة تشملها القائمة وتوفر الوقت والجهد اللازمين لإرسال رسالة واحدة إلى مئة عنوان مثلاً أو أكثر !



بالمكتب (١٧) ، والتى تشمل عناوين مكاتب الأمن والمخابرات ووزارات الدفاع ـ بل وبعض المنظمات الإجرامية ـ العالمية ، وهكذا لم تعد المسألة سرًا خافيًا على أحد ، وربما نُشِر الخبر فى صحافة الغد أيضًا !

استحال صوت (سندى) إلى مايشبه الحشرجة غير المفهومة وهى تدمدم :

ـ يا لك من وغد !

رفع (عمر) ذراعيه عاليًا أكثر وهو يهتف بأسلوب مسرحى :

ـ الأقدار لاتغفر أبدًا للمتمردين عليها ، وما أنا إلاَّ أداة فى يد القدر ليتحقق المكتوب ، أنت ياسيدتى لن تستطيعى العودة إلى عملك بالمعهد بعد انكشاف الحقيقة ، وأنت يا عزيزى

(ديفيد) لن تستطيع العمل كقاتلٍ أجير بعد اليوم، فمن ذا الذى سيكترى كفيفًا ليَقْتُل له والدنيا مليئة بالمبصرين ؟!

أغمضت (سندى) عينها اليسرى مصوبة فوهة مسدسها إلى رأس (عمر)، مرة أخرى، وغمغمت بحقد شديد:

ـ هذا لا يمنعنى من قتلك، على الأقل لأشفى غليلى..

وهمت بضغط الزناد، عندما قفز (عمر) خطوتين واسعتين نحوها فى لمح البصر، وأطبق على ذراعها المفرود نحوه بكلابتين معدنيتين ـ كما أحست (سندى) ملمس أصابع يديه ـ ثم دفعها بكل قوته نحو (ديفيد)، فلم تملك هى إلا أن تندفع بغير إرادتها لتصطدم بالأخير فى قوة، ليسقطا معًا هذه المرة على الأرض تغشاهما مرارة عصية على الوصف..



خاصة وأنهما أصبحا أعزلين تمامًا بعد سقوط المسدس من يد (سندى) فى أثناء سقوطها، وعندما رفعت الأخيرة رأسها لأعلى شاهدت (عمر) يقف أمامهما باسمًا، وهو يصوب إليهما جهازًا صغيرًا بيد، ومسدسًا بيد أخرى..

ـ فى الحقيقة كان من الممتع أن أواصل اللعب معكما، ولكنكما جعلتما الوقت ضيقًا أمامى إلى حد رهيب..

سألته (سندى) فى غل:

ـ ماذا ؟! هل ستقتلنا الآن ؟!

أجابها وقد تلاشت ابتسامته لتحل محلها جدية رهيبة:

ـ برغم الرغبة الشديدة التى تحدونى على فعل ذلك، وبرغم أن حيثيات الحكم واضحة فى

هـذا الصـدد بعـد اعترافكمـا بقتـل ( إيهـاب ) ود. ( مهدى ) ، وربما د. ( ناديا ) الأصلية أيضًا ، وشروعكما فى قتل د. ( رشدى ) ، وانتحالك لشخصية أرملة أستاذ لى بتنكر بارع وتكنولوجيا متطورة ، إلا أننى لن أفعل ذلك لحسن حظكما ، أولاً لعدم إيمانى بمبدأ العدالة الشاعرية ، وثانيًا لأننى - كما أشرت متهكمًا ياعزيزى (ديفيد) - أشبه أبطال روايات الحركة فى كراهيتى للقتل والدماء !

سأله (ديفيد) فى ضيق بائس يائس :

- ماذا ستفعل بنا إذن ؟! ستعفو عنا عفو الكرام ؟!

- لست غِرًّا ساذجًا إلى هذه الدرجة ، لكن سأضمن لكما فترة نوم طويلة ريثما أنتهى من مهمتى ..



قالها (عمر) ثم أشار للجهاز الذى يحمله قائلاً :

- إن لدينا مبتكرين على مستوى علماء معهد (ماسوشيتس) أيضًا يا عزيزتى (سندى) ، وهذا الجهاز الصغير للغاية خير دليل ، إنه يطلق قذائف نانومترية تخترق مسام الجلد ، وتسبح فى مجرى الدم لتؤدى وظيفتها فى تنشيط مركز النوم فى عُقَد المخ القاعدية خلال ثوان معدودة ، هذه القذائف عبارة عن شرائح إلكتروبيولوجية متناهية فى الصغر أستطيع التحكم بها وإيقاظكم وقتما أريد ..

ثم أضاف مبتسمًا :

- الطريف أنكما لن تشعرا بأى وخز فى أثناء اختراق القذائف لجلدكما ، هل تتصوران أننى قد أطلقتها بالفعل ؟!

فـى الثانيـة التاليـة لإتمامـه العبـارة كانـا قـد أسبلا الجفون بالفعل ، واستعاد (عمر) جديتـه وهو ينظر فى ساعة معصمه مغمغمًا فى قلق مضطرب قليلاً :

ـ بقى أقل من خمس دقائق وتنفجر السيارة بالدكتور ..

وشخص ببصره نحو أطلال قصر الرئاسة البعيدة القريبة ، متابعًا غمغمته :

ـ يمكننى قطع المسافة فى ثلاث دقائق على الأكثر ، هيا إذن ..

اتجه أولاً نحو الهليوكوبتر السوداء ملتقطًا الحقيبة المعدنية فضية اللون ، ثـم أطلق ساقيه للريح باتجاه أطلال القصر ، والأمل يغمر قلبه فى إنقاذ العالم الرابع ، فى الوقت المناسب ..



كـان بإمكانـه أن يستقل طـائرة مـن طـائرتى الهليوكـوبتر ، لكنه ـ بحسـبة سريعة أجـرتها خـلايا مخـه العصبية ـ أدرك أن هذا سيستغرق زمنًا أطـول ، وهو فى سباق حقيقى مع الزمن لاينوى أن يخسره ..

ولم ينتبه بالطبع لذلك الشاب الذى برز من خلف الـ (مـى ٤٠) ، مغمغمًا لنفسه بالروسية والنهار يبعث بريقه فى عينيه الزرقاوين :

ـ لقد نسى وجودى .. هذا رائع حقًّا !

* * *

## ٧ ـ الزمــــن ..

2 : 18

محتضنًا الحقيبة المعدنية الفضية ، انحدر (عمر زهران) ، نحو السيارة (اللادا) الحمراء الرابضة خلف أطلال قصر الرئاسة المحطم .. وقد لمح ظل د. (رشدى) ـ بلحيته المميزة ـ جالسًا داخلها فاقدًا لوعيه .

مازال هناك وقت كاف لإنقاذه ، هذا ما تداعى إلى تفكيره وهو يضع الحقيبة فوق كبوت السيارة الأمامى ويحاول فتح الباب الذى يجاور الدكتور دون جدوى ، الوغد (ديفيد) أغلق الأبواب الأربع بالمقافل !

لم يكن هذا فى حسبانه والوقت يمضى ..



2 : 09

تهشم زجاج النافذة إثر عدة ضربات قوية بوساطة الحقيبة ، وأسرع (عمر) يجذب مقفل الباب للأعلى ، وبمجرد فتحه للباب فعليًّا تناهى إلى مسامعه هدير المروحة الخاصة بطائرة تقترب .

رفع رأسه لأعلى فأدرك خطأه على الفور ، إنها الـ (مى ٤٠) السوداء الضخمة ، يقودها الشاب الذى كان يرافق الجنرال (ماكسيم) ، لاريب فى هذا ..

كيف نسى أمره ؟! كيف ؟!

ياله من غبى !!

ـ من العيب أن تأخذ شيئًا دون أن تدفع ثمنه على الأقل يا رجل ..

غمغم بها (ديمترى) وهو يدفع بالمقود نحو السيارة الحمراء ، ثم أضاف :

ـ نل عقابك إذن !

فى ثانية واحدة ، استعاد ( عمر ) معلوماته عن تسليح الطائرة ، وسرعتها ، وقدرتها القتالية الرهيبة ، وحسب الفارق الشاسع بين موقفه وموقف ( ديمترى ) ، ونظر إلى الساعة الرقمية فوق تابلوه السيارة ـ التى واصلت عدها التنازلى للقنبلة ذات الأسلاك الكثيرة المعقدة القابعة بجوارها فوق التابلوه أيضًا ـ ليرى أن ...

| |
|---|
| 2 : 00 |

المفتاح فى مكمنه خلف المقود .. يا للصدفة السعيدة !

ربما تركه ( ديفيد ) عامدًا أو غافلاً ، لكنه موجود وكفى ، لاوقت حتى للتفكير فى فلسفة وجوده !

وبسرعة قفز ( عمر ) إلى داخل السيارة



عابرًا فوق جسد د. ( رشدى ) الهامد وألقى بالحقيبة على الأريكة الخلفية ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها سيل من الطلقات عند مكان وقوفه ، اخترق بعضها الباب والجزء الأيمن من الكبوت .

ولأنه لم يكن هناك وقت للرعب أو الإجفال ، أدار ( عمر ) المحرك ، وضغط دواسة البنزين بكل قوته موّجهًا عجلة القيادة نحو الطريق الأسفلتى القريب ، لتصدر الإطارات صريرًا وغبارًا ورائحة احتراق !

ولم ينس ( عمر ) للحظة أن الوقت يمضى ، وأن السيارة ملغومة ، وأنه لايستطيع التخلص من القنبلة ـ برغم كونها أمامه ـ إذ لا يأمن عواقب نزعها دون أن تنفجر ، خاصة مع أسلاكها الكثيرة المتصلة بأسلاك السيارة نفسها ، لكن المشكلة الفعلية كانت ...

1 : 50

ـ ماذا يفعل هذا المخبول ؟! هل يتصور أنه سيهرب منى بقطعة الحديد الخردة هذه ؟!

سأل (ديمترى) نفسه فى استخفاف وهو يتابع السيارة الحمراء التى اتخذت مسارها على طريق الأسفلت بالفعل، وقد جاوز (عمر) بسرعتها المئة كيلومتر فى الساعة، والحق أن المشهد بدا جديرًا بنوع من (الكوميديا المأساوية) حقًا إذ تابعتها طائرة مروحية عملاقة تستطيع سرعتها أن تبلغ مئات الأميال فى الساعة !

والأدهى أن الطائرة أخذت ترشقها بسيول من الطلقات المتتابعة التى هشمت زجاجها واخترقت هيكلها المعدنى الصلب دون أن تنفذ داخلها ..

ـ تحيا الصناعة الروسية !



تمتم بها (عمر) ساخرًا وهو يضغط دواسة البنزين أكثر، بينما مد (ديمترى) يده نحو زر أحمر اللون قائلاً :

ـ حسن ياصديقى، لتذهب أنت (والبلوتونيوم) إلى الجحيم ..

وابتسم بسمة جانبية وهو يضيف فى برود :

ـ ... ولتشهد (جروزنى) أول انفجار نووى فعلى، توقيع (ديمترى فاسيليفيتش) !!

وضغط زر إطلاق الصاروخ الأول ..

1 : 35

فى نفس الثانية التى انطلق فيها صاروخ من جانب الطائرة مصدرًا دويًا، ضغط (عمر) دواسة الكابح لتصر إطارات السيارة مرة أخرى وهى تتراجع بغتة عن الطائرة التى تلاحقها حتى كادت تنقلب براكبيها لولا مهارة قائدها ،

وانفجر الصاروخ أمامها بمسافة أمتار معدودة مصدرًا موجة من التضاغط قاوم ( عمر ) أثرها اللحظى على السيارة برفع الكوابح اليدوية ..

وفى الثوانى التالية أنزل ( عمر ) الكوابح ، وانعطف بالسيارة ـ دائسًا وقودها بقوة ـ بعيدًا عن مجرى الطريق نحو بضع شجيرات متناثرة تنتهى بغابة متشابكة أغصان أشجارها تبعد عنه مسافة مائة متر تقريبًا ..

لن تفلت منى أبدًا ..

هدد بها ( ديمترى ) وهو يحول مسار طائرته على الفور ملاحقًا ( اللادا ) الحمراء من جديد ، وقد استعدت سبابته لضغط زر إطلاق الصاروخ الثانى ، حيث ستوجهه أنظمة التحكم أوتوماتيكيًا ..

1 : 15

ـ سيفعلها ثانية !



هتف ( عمر ) فى جزء لم يستغرق هنيهة ، ثم عقد حاجبيه فى عزم وتصميم وهو يطبق بأصابعه أكثر على عجلة القيادة ، وألقى بنظرة خاطفة على مرآة السيارة التى عكست له الصاروخ المقترب بسرعة رهيبة ، ثم انعطف انعطافًا حادًّا عن مساره ليتفجر الصاروخ على بعد مترين أو ثلاثة ، وليدفع الانفجار السيارة عاليًا ، فيستلقى ( عمر ) بجسده ـ والسيارة تطير فى الهواء ـ فوق د. ( رشدى ) ليحميه ، حتى سقطت السيارة بعنف ـ على عجلاتها الأربع لحسن الحظ ـ فوق الأرض ، سائرة فى وَهَنْ نحو اتجاه ما ..

اعتدل ( عمر ) من انبطاحه سريعًا ، ليطالعه جذع الشجرة التى لم يكن هناك مفر من الاصطدام بها ، و ..

1 : 01

انعطف ( عمر ) بعجلة القيادة بعيدًا ، واحتكت السيارة بجذع الشجرة فعليًا حتى تشوه جانبها تمامًا ، ثم ضغط ( عمر ) دواسة الوقود بقوة ليجد أن السيارة ما زالت تعمل بصورة تسمح بالوصول إلى الغابة القريبة مع قليل من الجهد والحظ ..

0 : 59

ـ يا لك من وغد محظوظ !

هتف بها ( ديمترى ) وقد استحال بروده الجليدى ثورة محتقنة بالدماء الغاضبة فى وجهه ، وأضاف ساخطًا :

ـ لن تنجو هذه المرة ، أعدك بهذا ..

واقترب بالطائرة من ( اللادا ) الحمراء أكثر مستعدًا لإطلاق الصاروخ رقم (٣) ..

0 : 50



بمناورة بارعة اتخذ ( عمر ) طريقه بين الأشجار مستترًا ببعضها ، لكن المنطقة المكشوفة المقابلة للغابة ـ المنطقة الوحيدة التى ستقيه شر طائرة مروحية كهذه لو استتر داخلها ـ ستجعله صيدًا سهلاً للصاروخ الثالث بلا جدال ..

ما العمل إذن ؟!

0 : 43

واصل ( ديمترى ) إطلاق رصاصاته المنهمرة بلا توقف ، منتظرًا أن تسنح الفرصة لتوجيه الصاروخ الثالث فى منطقة مفتوحة ، بينما قبض ( عمر ) على يد الحقيبة المعدنية بالخلف جاذبًا إياها للأمام وناصبًا موقعها فوق دواسة الوقود ، ثم إنه دفع جذعه خارج النافذة مسيطرًا على دواسة الوقود بالضغط فوق الحقيبة بقدم ، وعلى عجلة القيادة فى وضع ثابت بالقدم الأخرى ، ثم ..

0 : 37

ـ لقد جُنَّ الشاب المسكين لامحالة ..

هتف بها ( ديمترى ) فى سخرية الدنيا ، وهو يرمق عبر زجاج الطائرة الأمامى ( عمر ) الذى برز عبر نافذة ( اللادا ) الحمراء وهى تخرج إلى الساحة المكشوفة أمام الغابة ، شاهرًا مسدسًا صغيرًا إلى الطائرة العملاقة !

ـ هيا أيها الـ (k123) ، أثبت أن مجهود المرحوم ( إيهاب ) معى لم يكن عبثًا ..

قالها ( عمر ) وهو يصوبه إلى نقطة محددة أطلق نحوها النار بالفعل ..

0 : 26

قهقه ( ديمترى ) بشدة داخل الطائرة ، قائلاً فى مرح متهكم :

ـ جميلة هى ألعاب الأطفال هذه !



برز عبر نافذة ( اللادا ) الحمراء وهى تخرج إلى الساحة المكشوفة أمام الغابة ، شاهرًا مسدسًا صغيرًا إلى الطائرة العملاقة ! ..

كان (عمر) يدرك أن الطائرة مصفحة وزجاجها نفسه مضاد للرصاص، ولم يكن يهدف إلى ـ أو حتى يحلم بـ ـ إصابتها، لكن الرصاصة التى انطلقت نشرت مادة سوداء لزجة فوق زجاج الطائرة المقابل لـ (ديمترى) عائقة رؤيته لما أمامه بعض الوقت ..

وهذا بالتحديد ما كان (عمر) يهدف إليه ..

بعض التعطيل ريثما يصل للغابة ..

0 : 19

ـ ما هذا ؟!

نطق بها (ديمترى) فى دهشة وقد أعتمت النافذة أمامه بغتة، بينما عاد (عمر) لمقعده قابضًا على المقود بيدين من فولاذ، وقد اقتربت الغابة كثيرًا .. لكن .. هل سيصل إليها فى الوقت المناسب ؟!



ـ لو كنت تظن أن هذا سيعوقنى عن تسديد الصاروخ، فأنت واهم ..

وضغط زر الإطلاق الأحمر ضاحكًا فى هستريا ..

0 : 17

انطلق الصاروخ، لكنه لم ينفجر فى سيارة (اللادا) الحمراء، وإنما انفجر فى الجو ..

ولدهشة (عمر) الشديدة رأى أمامه عند مدخل الغابة رهط من المقاتلين ـ فى ملابس كاكية وملامح قوقازية ـ أطلق أحدهم عبر قاذف صواريخ يدوى صاروخًا أرضيًا نحو الطائرة المروحية أصاب الصاروخ المنطلق منها لينفجر الاثنان معًا فى السماء، بينما أشار الباقون لـ (عمر) أن يأتى إليهم ..

0 : 12

ـ إنكم أنتم أيها الإرهابيون مرة أخرى ..

قالها ( ديمترى ) وهو يرمق الواقفين عند المدخل عبر زجاج نافذة جانبية لم يصل إليه الإعتام اللزج ، وبسخط تابع منقضًا بالطائرة عليهم :

ـ سأنال منكم جميعًا ، سأقطع دابركم ..

0 : 09

اخترقت سيارة ( عمر ) الجمع الواقف إلى عمق الغابة وتعلق خلفها الرجال مختفين من أمام ( ديمترى ) الذى زاد سواد زجاج الطائرة من سوء موقفه ، فضرب المقود بقبضته حانقًا كما لم يكن حانقًا فى حياته من قبل ، أما ( عمر ) فقد ..

0 : 06

فقد ضغط الكابح بكل قوته ، وقفز عبر زجاج



النافذة صائحًا فى الجميع بقدر ما أسعفته لغته الروسية على القول :

ـ ابتعدوا ، إنها سيارة ملغومة ..

وأعادها بالإنجليزية متجهًا لباب د. ( رشدى ) ، فترجمها من فهم لمن لم يفهم ، وأسرع الجميع بالابتعاد ، وترك ( عمر ) الحقيبة أرضًا وهم ..

0 : 04

هم ( عمر ) بفتح الباب المجاور لكنه لم ينفتح ، دائمًا تحدث أشياء كهذه فى اللحظات الأخيرة !

0 : 03

الرصاص والاحتكاك بجذع الشجرة أفسد الباب ، لابد من إخراج د. ( رشدى ) عبر النافذة ، ولكن هل سيكفى الوقت ؟!

0 : 02

جذع د. (رشدى) الفاقد وعيه فوق حافة النافذة، نصفه فى الخارج ونصفه فى الداخل، ولكن هل هذا وقت أن ينحشر حذاؤه بين الباب والمقعد ؟!

0 : 01

بكل قوته جذبه (عمر) من إبطيه للخارج، سقطا بعيدًا لكنهما قريبين للغاية من الانفجار، لذا ..

0 : 00

لذا أسرع (عمر) لحمل د. (رشدى) فوق ذراعيه، والركض به بعيدًا مع صدور نغمة ثلاثية من داخل السيارة، و ...

وانفجارها بمنتهى العنف ..

وداخل الـ (مى ٤٠)، أخذ (ديمترى) ينظر مشدوهًا إلى الانفجار، سائلاً نفسه :



ـ هل يمكن أن يكون خدعة يضللوننى بها ؟!

وهز كتفيه قائلاً فى تسليم :

ـ الحيطة واجبة على كل حال ..

وأخذ يمطر الغابة برصاصاته وقذائفه، فرفع المقاتلون أعينهم للسماء التى تخفيها الأغصان وأوراق الشجر آملين ألاتقترب منهم أكثر، بينما أدار (عمر) عينيه فى الوجوه جميعها، حتى توقف بها عند رجل منهم فأنزل د. (رشدى) أرضًا، وأسرع للرجل هاتفًا فيه :

ـ أعطنى هذا !

أعطاه الرجل ما يريد مبهوتًا، ورمقه يعدو إلى اتجاه مدخل الغابة، فمال عليه زميل يسأله :

ـ ماذا سيفعل ؟!

رفع الرجل كتفيه علامة (لا أدرى)، ولم

تختف علامات البهت من عينيه ، بل سرت عدواها إلى العيون التى حدقت فى (عمر) الراكض حتى اختفى ..

وداخل الطائرة المروحية ، ارتدى (ديمترى) قناع بروده الجامد الصارم وهو يمسح الغابة بنظام مطلقًا ذخيرته ، حتى لمح (عمر زهران) واقفًا عند المدخل ..

ـ أنت أيها الـ ..

هتف بها ثم بترها فى ذهول محدقًا فيما يحمل (عمر) فوق كتفه ، والذى لم يكن سوى قاذف الصواريخ اليدوى مصوبًا نحو مروحة طائرته !!

وقبل أن يستوعب عقل (ديمترى) الأمر ، وقبل أن يصدر عنه رد فعل ، أى رد فعل ، غمغم (عمر) فى خفوت وهو يطلق صاروخه الوحيد :



ـ إلى الجحيم أيها الروسى ..

وتحطمت مروحة الطائرة ، لتهوى الطائرة بعدها إلى قلب الغابة ..

ولتنفجر بدورها ..

بمنتهى العنف أيضًا !

* * *

ـ لقد أدى تلميذك مهمته بنجاح كامل هذه المرة ، عميد (حرب) ..

قالها اللواء (عفت) فى ارتياح وهو يجلس فوق مقعده الوثير ، وابتسم العميد (منصور) نصف ابتسامة وهو يقول بنبرته الفخمة العميقة :

ـ حمدًا لله على أننى لم أضع عمرى رهانًا على جواد خاسر يا سيادة اللواء ..

ـ إنه الآن فى كهف من كهوف المقاتلين

الشيشان أسفل ممر (أرجون)، ومعه د. (رشدى) سليمًا معافى، وحقيبة تحوى خمسة كيلوجرامات من (البلوتونيوم ٢٨٩) النقى..

ـ هل أبرق بهذا من هناك يا سيدى؟!

ـ أجل، عميد (حرب)، لقد أرسل بكافة التفاصيل إلينا عبر (الإنترنت)، والنقطة الوحيدة التى مازلنا نجهلها هى (الإخوة)، من يكونون؟! وما مصلحتهم فى قتل علمائنا ومنعنا من التقدم لعضوية النادى النووى العالمى؟!

هز العميد (منصور) كتفيه قائلاً فى بساطة:

ـ سيغدو الأمر معقولاً لو كان مجرد اسم رمزى لرجال الوحدة (٨٢٠٠)!

ـ لم نتأكد من هذا بعد، عميد (حرب)..

ـ وماذا عن (ديفيد جوردون) و (سندى جونز)؟!



ـ سيوقظهما (عمر) عبر جهاز البث الصغير الذى ابتكره رجالنا فور وصوله إلى حدود (داغستان)، ولنر عندها إذا كانا قد وقعا فى أيدى السلطات الروسية العسكرية، أم مازالا طليقين..

وأشار اللواء (عفت) لخريطة (الشيشان) على شاشة حاسبه الآلى قائلاً:

ـ سيهرب عن طريق البر مع الدكتور بمساعدة دليل من رجال (الشيشان)، وسيكون هذا آمنا إلى حد كبير لو تغاضينا عن وعورة المناطق الجبلية، وخطر التعرض للقصف الخاطئ عبر طائرات الروس أو مدافعهم الثقيلة!

قال العميد (منصور) ساهمًا:

ـ أشعر بأنه سيفعلها بنجاح إن شاء اللَّه..

* * *

- جاهز يا دكتور ؟!

سأل ( عمر ) د. ( رشدى ) الذى ارتدى الملابس العسكرية الخضراء ، فأجابه الأخير مستغربًا :

- لم أرتد ثيابًا كهذه منذ كنت فى التجنيد الإلزامى !

قال ( عمر ) باسمًا :

- إنها ضرورية للتمويه عبر مناطق ( الشيشان ) الجبلية ..

ثم التفت نحو الراقد على سرير خشبى منخفض سائلاً :

- وأنت يا ( إبراهيم ) ؟!

هز ( إبراهيم جولدنسكى ) الراقد فى إعياء رأسه بالإيجاب ، وهو يحاول أن يبتسم عبر تعبير الألم المرتسم على وجهه ، فركع ( عمر ) بجواره ممسكًا كفه ليقول :

- ستكون بخير عندما تتلقى علاجك فى



( داغستان ) ، وسيتم علاجك فى أى منطقة من العالم على حساب المكتب (١٧) إذا تطلب الأمر ..

ترجم د. ( رشدى ) له ما قيل ، فتبسم ( إبراهيم ) مجهدًا وقال :

- الرجال هنا فى الكهف معجبون بشجاعتك للغاية ، إنهم يطلقون عليك ( بورز ) !

سأل ( عمر ) بعد سماعه ترجمة د. ( رشدى ) :

- وما معنى ( بورز ) هذه ؟!

قال د. ( رشدى ) فى سرعة :

- سأخبرك فى الطريق ، فالدليل مستعد هو الآخر ..

وابتسم مربتًا على كتف ( عمر ) ، مردفًا وهو يحدق فيه بإعجاب :

- لكنك تستحق هذا اللقب ، فأنت ( بورز ) حقيقى يا فتى !

* * *

## ٨ ـ (٥ ب ٣٠٠٠) ..

فى الصحراء الغربية ، تكسو الرمال كل شىء !

لاشىء ينبئ أن تحت التبة الرملية العالية هناك مبنى ضخم من طابقين تحت الأرض ، ولا أحد يعرف متى وكيف تم بناؤه ، ولا لماذا !

كل ما هو مكتوب على البوابة المعدنية الضخمة المفضية إليه ، والتى لايعرف أحد أيضًا سبيل الوصول إليها لولوج المبنى ، الرمز الكودى (٥ب ٣٠٠٠) !!

وداخل غرفة مكيفة الهواء ، متواضعة الأثاث ، كان د. (رشدى نوّار) يقف فوق مقعد خشبى يثبت صورة مؤطرة فوق الجدار ، عندما سمع طرقات على الباب الخارجى ..



ـ ادخل ..

ـ حمدًا للَّه على السلامة يا د. (رشدى) ، ومبروك على ...

بتر الشاب الداخل عبارته وهو يلمح صورة د. (مهدى عبد القادر) فوق الجدار ، فقال د. (رشدى) له هابطًا من على المقعد :

ـ أكمل عبارتك يا باشمهندس (ماهر) ، تريد أن تبارك لى على منصبى الجديد ..

ابتسم (ماهر) فى اضطراب وقال متلعثمًا :

ـ فى الـ ... الواقع يا دكتور ... نعم ..

ـ كان الأجدر بك أن تعزينى فى أستاذى الراحل أولاً ..

قال (ماهر) فى إجلال :

ـ لقد أحزننا فقد د. (مهدى) بشدة يا دكتور ..

تنهد د. (رشدى) ، ثم قال فى أسى :

ـ سنفتقد وجوده بيننا حقًا ، لكنا سنعمل جاهدين لإخراج حلمه إلى النور ..

وأشار للحقيبة المعدنية الفضية فوق سطح مكتبه متابعًا :

ـ هاك الشحنة الجديدة ، خمسة كيلو جرامات (بلوتونيوم ٢٨٩) ..

قال (ماهر) فى حماس :

ـ إنها خطوة واسعة نحو الهدف يا دكتور ..

جلس د. (رشدى) فوق مقعد قريب وهو يقول فى رزانة العلماء :

ـ مازال الطريق طويلاً يا باشمهندس ، لكن الحلم سيتحقق يومًا بإذن الله ..



ونظر الدكتور إلى وريقة صغيرة تقبع تحت زجاج مكتبه ، تحمل بيتًا واحدًا من الشعر مكتوبًا بخط اليد :

(وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غِلابًا ) !

* * *

[ تمت بحمد الله ]

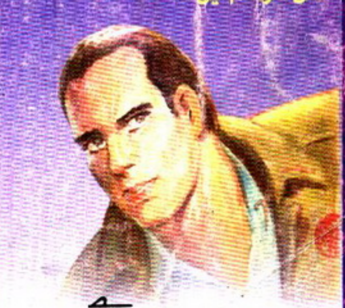
# عملية
# العالِم الرابع

جاء الدور على (العالم الرابع) فى قائمة الاغتيال، وتم تكليف (عمر زهران) بحمايته..

لكن هذا ليس كل شىء..

لقد كان عليه أيضًا أن يتم صفقة مع عميل يجهله، فى أخطر مناطق العالم المشتعلة بنيران الحرب..

هل عرفتم أين؟!



الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



محمد سليمان عبد المالك

## المكتب 17
إدارة المهام الخاصة

★★★★

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق

مطابع
نسلاح التلميذ

العدد القادم: عملية الموت الأسود